



روايات امريكية

رجل المستحيل

عما القة مار سيليا



www.helmelarab.net

هـ هل تعرف هذا الشاب ؟ ..
 دؤى السؤال في رأس (أدهم صبرى) وفليه ، وهو يجلس
 في مطار (مونت كارلو) ، أمام حثة زميله النقيب (سمير) ،
 الذى ألقى حقه برصاصة غادرة في ظهره ، وشعر (أدهم)
 مع السؤال بقصة في خلقه ، وقاوم في شدة ذمعة حزينة ،
 جاهدت عينا للانداز من عينيه ، ثم لم تلبث أن استكانت داخل
 أجفانه متحركة ، مسلمة ، واكتفت بأن منحت عينيه برقا
 وانماغا ، وهو يديرهما إلى ضابط الأمن ، الذى ألقى عليه هذا
 السؤال ، ويتطلع إليه في صمت ..
 وتدقق نهر الذكريات في رأسه ..

لقد كان يعمل في الإدارة ، بعد إصابة ساقه ، وكان يُعاني
 عرجا شديدا ، بسبب ذلك الالتئام ، الذى أصاب عظام
 الساق ، ثم أنه برفقة ، تنبه بأن شقيقه الوحيد ، الدكتور
 (أحمد صبرى) ، قد أصيب بكسر في ساقه ، عندما ذهب إلى
 (مارسيليا) ، ليلقى محاضرة في جامعتها ..

وسافر (أدهم) إلى (مارسيليا) ، ليُزور شقيقه ..
 وهناك بدأت سلسلة من محاولات قتله ، والتخلص منه ..

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يحيد رجل
 واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ..
 ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق
 عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة
 الخبايا العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

لم يكن يدري من وراء ذلك ..

لم يكن يعلم — حتى هذه اللحظة — أن عدوته اللدود ،
(سونيا جراهام) ، هي التي تدبر كل هذا ، عن طريق عمالقة
الإجرام في (مارسيليا) ، (فتورا) ، و (بلوميه) ،
و (مودرا) ..

لم يكن يعلم أنها ، وبعد أن لبدها (الموساد) من
صفوفه^(*) ، قد اتخذت حياتها كلها هدفاً واحداً ..
القضاء عليه ..

وفي هذه المرة ، كانت قد أُنعت منظمة (سكوريون) ،
التي هزمها (أدهم) من قبل^(**) ، بتحويل مشروع القضاء
عليه ، بواسطة عمالقة (مارسيليا) الثلاثة ، ودفع مبلغ عشرة
ملايين دولار مقابل ذلك ..

وبمساعدة إلهية ، وإرادة بشرية رائعة ، وتدخل النقيب
(سمير) في الوقت المناسب ، نجح (أدهم) وشقيقه في الفرار
من لُحْ ، أعده له رجال العصابات الثلاثة ، وانطلق مع شقيقه
وزميله ، في محاولة لبلوغ (مونت كارلو) ..

(*) راجع قصة (مهنة خاصة) .. المظاهرة رقم (٥٠) ..

(**) راجع قصتي (أرض الأوهام) ، (انتقام العقرب) ..

المظامرين رقم (١٣) و (١٧) ..

وكانت مطاردة عنيفة رهبة ..

مطاردة أدارها العمالقة الثلاثة ، وقاتل فيها أبطالنا الثلاثة
بكل قواهم ..

وبعد أن تحطمت ثلاث ميارات ، وطائرنا هليكوبتر ،
وفقدت سيارة (أدهم) سقفها ، نجح الثلاثة في بلوغ مطار
(مونت كارلو) ..

وهناك انقلب كل شيء ..

لقد اختطف رجال عصابات (مارسيليا) الدكتور
(أحمد) ، شقيق (أدهم) ، وعادوا به في طائرة خاصة إلى
(مارسيليا) ، ولقي (سمير) مصرعه غدراً ، عندما أطلق عليه
رجل أمن خائن رصاصة في ظهره ..

وبقي (أدهم) وحيداً ، عاجزاً ، يحترق حزنه وموارته ..
ولكن المعركة لم تنته ..
لم تنته بعد^(*) ..

هل تعرف هذا الشاب ؟ .. ؟ .. ؟

كرّر رجل الأمن سؤاله في صرامة ، فأجابته (أدهم) في
لحظات حزين :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (النهر الأسود) ..

المظاهرة رقم (٧٦) ..

— نعم .. أعرفه ..

ثم أذار عييه إلى جثة (سمير) ، مستطرداً في مرارة :

— كان زميلي .

عقد رجل الأمن حاجبيه ، وهو يقول في اهتمام :

— زميلك ؟! .. أى عمل تزاوولان ؟

أجابته (أدهم) :

— إنا رجلا أعمال ، وشريكان في مشروع واحد .

تطلع إليه الرجل في شك ، وقال :

— قل لي إذن يا مسيو (أدهم) ، ما صلة الأعمال بالعصابات .

قال (أدهم) في صرامة :

— مثل رجال العصابات .

ازداد انقصاد حاجبي رجل الأمن ، وهو يقول في غلظة :

— اسمع يا مسيو (أدهم) .. إنها ليست لعبة ، ولستأخرج

هنا .. لقد جرى تبادل إطلاق نيران داخل المطار ، ولقي ثلاثة

رجال مصرعهم ، منهم رجل أعمال فرنسي ، وزميلك ،

واحد ضباط أمن المطار ، ولقد كان زميلك يحمل مسدساً ، من

ذلك النوع الذى يستخدمه الإرهابيون ، والمصنوع بأكمله

من البلاستيك ، بحيث تفجّر أجهزة كشف المعادن عن الطور
عليه ، ولقد كنت أنت أيضاً تحمل مسدساً مماثلاً ، وهذا يعنى أن
الأمر أخطر من أن نواجهه بالتقاعس ، أو السخرية ، أو

قاطعه (أدهم) في حدة :

— لماذا تجاهلت أمر اختطاف شقيقى ، عل من طائرة

خاصة ، من قائمة الأعمال المخالفة للقانون ، التى جرت هنا ؟

عقد رجل الأمن حاجبيه مرة أخرى ، وهو يقول :

— لأن هذا لم يثبت بعد .. فإن أحداً من رؤاذا المطار ، لم

يشهد بحدوث أية بادرة عنف ، إلا عندما قفز زميلك فوق

الحاجز ، وراح يطلق النار كالجنون ، ثم لحقت أنت به ..

قال (أدهم) في تولثر :

— ولكننى لم أطلق رصاصة واحدة .

غمغم رجل الأمن :

— هذا صحيح ، ولكن

قاطعه (أدهم) في حدة :

— كما أننى كنت أنوى تسليم مسدسى ، قبل دخول

الطائرة ، والقانون لا يمنع حمل مسدس مرخص ، داخل أرض

المطار ، ثم إننى أجهل رخصة سلاح دولية .. و

قاطعة رجل الأمن هذه المرة ، وهو يقول :

— ماذا تريد بالضبط يا مسيو (أدهم) ؟

عقد (أدهم) حاجبه ، وبدت لهجة لرجل الأمن مخيفة ،

حتى أنها أصابته برجفة قوية عندما قال (أدهم) :

— العودة إلى (مارسيليا) .

مرّت لحظة من الصمت ، قبل أن يردّ رجل الأمن لعابه ،

ويغمغم في دهشة :

— إلى (مارسيليا) ؟ .. ولكنك قلت إنك قد أثبت من

هناك ، وإنك وزميلك ، وشقيقك المزعوم ، كنتم تزعمون

ركوب طائرة (القاهرة) ، و

مرة أخرى قاطعة (أدهم) ، قائلاً بنفس اللهجة الخفيفة :

— الآن صار هناك دين لا بد من تصفيته ، في

(مارسيليا)

ومرة أخرى ازدرد رجل الأمن لعابه في توتر ، وغامرة

شعور بالرغبة في الفرار ، من أمام ذلك الرجل ، الذي تجمّد

لهجته الدم في العروق ، وغمم :

— يمكنك أن تذهب .

ثم عاوده إحساسه بالواجب ، فاستدرك في صرامة :

— ولكنني سأحفظ جواز سفرك ، لحين عودتك .

بعض (أدهم) ، وهو يقول في صرامة :

— إنه لك .

ثم ألقي نظرة أخيرة على جلة (سمير) ، وغمغم

— ثم هيناً يا صديقي ، سيأثر (أدهم) لك .

ويخرج واضح ، اتجه نحو تلك السيارة الصغيرة ، ذات

السقف المكسور ، وأدار محركها ، وانطلق عائداً إلى

(مارسيليا) .

إلى أرض عمالقة الإحرام ..

عقدت (سونيا جراهام) ساعديها أمام صدرها ، ووقفت

أمام نافذة جناحها بالفندق الفاخر ، المطلّ على شاطئ

(مارسيليا) ، تتطلع إلى غروب الشمس ، على حين جلس

(شارل) ، مندوب (سكوريون) خلفها ، يصبّ لنفسه

كأساً من الخمر ، وهو يتسم في دهاء ، قائلاً :

— ما الذي يفلقك هكذا يا عزيزتي (سونيا) ؟

تنهّدت في غنى ، وغمغمت :

— لست أدري .

وعادت تتطلع لحظات إلى الغروب في صمت ، قبل أن
تستطرد في تولد :

— طاهر يا ، كل شيء يسر على ما يرام .. لقد قبلوا زميل
(أدهم) الشاب ، واعتقلوا أخاه ، وطبيعة (أدهم) استدفعه
دفعاً إلى العودة ، على الرغم من إصابة ساقه ، وفقدته للياقة
الطبيعية الفائقة ، وسيكون رجال (فتورا) و (بلوميه)
(و مورو) في انتظاره .. كل العوامل تؤكد أن نهاية (أدهم
صيري) قد باتت وشيكة .. ولكن

بترت عبارتها لحظات ، فغمغم (شارل) ، يستجيبها على
المواصلة ، وهو يرفش الحمر من كأسه :

— ولكن ماذا ؟

مرة أخرى تنهدت ، وهزت رأسها مغممة :

— لست أدري .. شيء ما في أعماقي ، يقول إننا لن نربح
هذه المعركة .

عقد حاجبه في شدة ، وهو يهتف في استكثار :

— لن نربحها ؟! .. أي قول هذا ؟! .. إن كل شيء يسر
على ما يرام ، باعتراك أنت ، فلم لا نربحها ؟!

مطت شفها الجيدين ، مغممة :

— إنه مجرد شعور .

ظل عاقدا حاجبه لحظات ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، وبعض
يحيط كفها بذراعه ، ويتطلع إلى عينها الفاتنتين ، قائلاً :

— بل هو القلق يا عزيزتي (سونيا) ، ولكن اطمئني ..
لقد غادر (أدهم) (مونت كارلو) منذ خمس ساعات ، وهو
في طريقه إلى هنا ، ورجال هؤلاء الحمقى الثلاثة ينتظرونه ..
لقد انتهى يا عزيزتي .. انتهى (أدهم صيري) إلى الأبد ..



٢ - الذئب الأعرج ..

هناك ثلاثة مداخل لـ (مارسيليا) ..

طريقان بريان ، والبحر ..

ولقد حرص عمالقة (مارسيليا) الثلاثة على تأمين تلك المداخل ، لاقتناص (أدهم صبرى) ، فور وصوله إلى المدينة ..

واختص (قستورا) بالبحر ..

أما (موروا) فقد عمل رجاله على تأمين الطريق الشمالى ..

وتحصن رجال (بلوميه) في الطريق الجنوبى ..

وكان رجال (موروا) أول من علم بوصول (أدهم) ..

لقد أبلغهم عيبل لهم ، في نقطة شرطة الطريق ، بأن تلك

السيارة الصغيرة ، ذات السقف المكسور ، قد تجاوزته منذ

لحظات ، وأنها ستصل إلى (مارسيليا) بعد عشر دقائق

فحسب ، فهتف قائد الرجال (ديلون) ..

— استعدوا يا رجال .. سنأثر من ذلك المصرى ، الذى

فل رفاقنا ، ونجح في خداعتنا ، والفرار بشقيقه من المستشفى ..

جذب كل من الرجال السبعة إبرة مدفعه الرشاش في

شراسة ، ووقفوا ينتظرون وصول السيارة الصغيرة في تحفّر ..

ولكن الدقائق العشر مضت ..

وبعد عشرين أخرى ..

وأخرى ..

وأخرى ..

وهتف (ديلون) في خنق :

— هناك أمر ما يارفاق .. يبدو أن هذا الرجل يخدعنا على

نحو ما ..

ثم قفز داخل سيارته ، وهتف بثلاثة من الرجال :

— هلم بنا .. ستواجهه في الطريق .. ولينتظره الآخرون

هنا ..

انطلق بالسيارة ، مع القطة الأربعة ، وهو يعض شفتيه غيظًا

ووحشية ، حتى لمح السيارة الصغيرة على جانب الطريق ،

فضغط كمّاحة سيارته في قوّة ، وهو يهتف :

— ها هو ذا ..

شهر الثلاثة مداقمهم الآلية ، وانزع (ديلون) مدفعه ،

وهو يوقف سيارته ، إلى جوار السيارة الصغيرة تمامًا ، وقفز

الأربعة في سيارتهم ، وانقضّوا على السيارة الصغيرة ، و

وانمعدت حواجيبهم في تولر وشك ..

وهتف (ديلون) في عصبية :

— السيارة خالية !!.. أين هو ؟

تناهى إلى مسامعه صوت إنسان القائل الثالث ، وهو
تتكسر ، فشهر مدفعه الآتى ، وصرخ :
— أيها الشيطان ..

وراح يطلق النيران في جُتون وذعر ، وهو يتراجع بلا
هدف ، فاقد الرؤية ، والدموع تغطى عييه ، وتسيل على
أجفانه المنهية ..

وفجأة ، سمع صوتاً ساحراً من خلفه ، يقول :
— إلى أين يا صديقى ؟

استدار في سرعة كبيرة إلى مصدر الصوت ، وهو يصرخ :
— ابتعد أيها الشيطان .. ابتعد ..

وهذه المرة بتر عبارته برغم أنه ..
أو بمعنى أدق .. بقايا أنه ..

فلقد هزت على أنه لكمة كالقنبلة ، أحواله إلى كومة من
اللحم المقرئ ..

وَألى مزيج من الدماء والعظام المهشمة ..

وعلى الرغم منه ، سقط مدفعه أرضاً ، ورفع كفيه يخطي
وجهه ، صارخاً :

— أيها الوغد ..

هتف أحد الرجال لي قلبي :
— هناك صغير خافت ، أسفل مقعد القيادة .
سأله (ديبلون) في توثر :

— صغير ماذا ؟

ارتبك الرجل ، واحقن وجهه ، وهو يتف :
— إنه يبدو شيئاً بـ ... بقنبلة .

هتف (ديبلون) في ذعر :
— قنبلة ؟

ثم قفز إلى الخلف ، صارخاً :

— تراجعوا يا رجال .. قبل أن ..

ولم يم عيارته ، لأن القنبلة قد انفجرت ..

كانت قنبلة دُخان ، انفجرت في وجوه القنبلة الأربعة ،
فجفت حلقهم ، والتبت جفونهم ، وراحوا يستغلون في
قوة ، ويتراجعون في توثر غير منظم ..

وفجأة ، هزت قبضة فولاذية على فك أحدهم ،
فحطمت ، وهزت أخرى على ألف الثاني ، فهشمت ..

وهتف (ديبلون) ، وهو ينجس عن رؤية من حوله :
— ماذا يحدث هنا ؟

وهنا ارتطمت صاعقة بكليته ، وضربت بها بوجهه ، فتهاوى أرضاً ..

وقبل أن يسقط ، أمسكت به قبستان فولاذيتان ، وسمع صوتاً زهيقاً عقيقاً يقول :

— لئى عذة أسئلة ، تحتاج إلى أجوبة شافية ، أيتها الوغد .

قاوم (ديلون) دموعه الغزيرة ، وهو يهتف :

— لن نحصل منى على جواب واحد ، ولن

قبلة تفجرت فى أسنانه ، منحة من الاستطراء ، وأسنان محطمة ، ممزوجة بطعم الدم فى حلقه ، جعلت عينيه تدوران فى محجرتها ، قبل أن يوتفح الصوت الضارم مرة أخرى ، قائلاً :

— متجيب أيا الوغد .. اليس كذلك ؟

ثم أعقب ذلك انفجار فى معدته ، وآخر فى فكّه ، فهتف بصوت مختنق :

— سأجيب .. سأجيب عن كل أسئلتك بحق الشيطان .

كان الألم يدفعه دفعاً إلى الاستسلام ، دون قيد أو شرط ، ولقد سمع ذلك الصوت الضارم ، صاحب تلك اللهجة الخفية ، يقول :



ولمحة ، سمع صوتاً ساخراً من خلفه ، يقول :

— إلى أين يا صديقى ؟

— من وراء محاولة الغيالي ؟
 أجابه (ديلون) ، وهو يحاول منع الدم المتدفق من أنفه
 ورفعه :
 — زعماء (مارسيليا) الثلاثة .. (اقتسورا)
 (بلوميه) ، (موروا) ..
 خفف الصوت في قوّة :
 — ولماذا يمتّون خلفي ؟
 همّ (ديلون) رأسه سلفاً في قوّة ، وهو يخفّ :
 — لست أدري .. هناك امرأة دفعتهم إلى ذلك .
 عقد (أدهم) حاجبيه : وهو يلغمم :
 — امرأة ؟ ..
 ثم سأله في صرامة :
 — أهى جميلة ؟
 أجابه (ديلون) منهاراً :
 — بل هي فاتنة .
 ازداد العقد حاجتي (أدهم) ، وهو يلغمم في غضب :
 — (سونيا جراهام) .
 خفف (ديلون) :

— نعم .. نعم .. لقد سمعت مسيو (موروا) يخاطبها بهذا
 الاسم .
 جذبته (أدهم) إليه من عنقه في عنف ، وسأله في صرامة :
 — وأين أخي ؟
 أجابه (ديلون) بصوت أقرب إلى الكآبة :
 — لست أدري .. لقد أحضروه إلى هنا ، ولكنني أجهل
 من منهم يحفظ به . ثم رفع ساعديه ، يخفي بهما وجهه ، هاتفاً
 في دُخْر :
 — أقسم لك .
 قال (أدهم) في جدّة :
 — حسناً أيها الوغد .. سألقى إليك رسالة شفهيّة ، عليك
 أن تنقلها كما هي لزعيمك ..
 ومال نحوه ، مستطردّاً في صرامة مخيفة :
 — قل له إن (أدهم صبرى) قد عاد ، وإنه لن يغفر له .
 لو من شعرة واحدة من رأس شقيقه .
 كانت الرؤيا قد عادت إلى عيني (ديلون) مشوّشة ،
 لمحدّق في عيني (أدهم) في رُعب ، قبل أن يخفّ :
 — سأبلغه .. سأبلغه .

لم يم عيارته : لأنهم قد تبنوا وجه السائق بغته ، وأدركوا أنه ليس (ديلون) ..

وبسرعة ارتفعت قوّهات مدافعهم الآلية ..

وبسرعة أيضا ، انتهت الرصاصات على السيارة ..

وعلى الرغم من سيل الرصاصات ، واصل (أدهم) الدفاع بالسيارة ، ورأى أذخنة كثيفة تتصاعد من المحرك ، ولطم أحد رجال (ديلون) بمقدمة السيارة ، فأطاح به بعيدا ، ونفض عن جسده بقايا الزجاج المتهشم ، وأمسك بمدفع (ديلون) الرشاش يسرا ، وراح يطلق النيران ..

ولم يكذ يتعد عن الرجال الثلاثة الباقين ، بما لا يزيد على مائتي متر ، حتى أطلق محرك السيارة زحجرة عنيفة ، واشعلت فيه النيران ..

وغادر (أدهم) السيارة في صعوبة ، وراح يجر خلفه ساقه المصابة ، التي التبت في شدة ، وشعر أن النهايا يتصاعد إلى رأسه ، ويديرها في عنف ، وهو يستدير لمواجهة الرجال الثلاثة ، ويمطرهم برصاصات مدفعه ..

وسقط رجل ..

وسقط آخر ..

وانطلقت رصاصات الثالث ، تطيح بمدفع (أدهم) الآتي ..

تركه (أدهم) يسقط أرضا ، وراه (ديلون) ينحى ، ويلتقط مدفعه الرشاش ، ثم توجه إلى سيارتهم ، التي أتوا بها .. واتسعت عينا (ديلون) في دهشة وذعر ..
لقد انته الآن ..
الآن فقط ..

انته إلى أن ذلك الرجل ، الذي حطّم فمه وأسنانه ، والذي هزمه مع ثلاثة من أشرس القتلة ، أخرج ..
أخرج في شدة ..

تولّى أحد رجال (ديلون) ، وهو يتطلع إلى ساعته ، مغمّما في عصيّة :

— لقد تأخر (ديلون) والرجال كثيرا .. المفروض أن المسافة لا تستغرق أكثر من عشر دقائق ..

هتف رجل آخر ، وهو يشير إلى الطريق :

— ها هي ذى سيارتنا ..

اتجهت عيون الرجال الأربعة إلى السيارة ، التي اندفعت نحوهم في سرعة ، وغمغم أحدهم في قلق :

— لماذا يتطلق (ديلون) بهذه السرعة ، كما لو كان ؟

وتراجع (أدهم) في صعوبة ، وراح يحز سافه إلى منحنى
قريب ، قبل أن يبلغه ذلك القاتل .

وغير زفافاً حقيقاً ، و

وفجأة ، وجد نفسه وسط مساحة ضخمة ، تطل عليها
أبواب عشرات المنازل القديمة .

وكان وقع أقدام القاتل يقترب في سرعة . .
وكمحاولة أخيرة ، طرق (أدهم) باب أقرب المنازل
إليه ، وشعر بأحدهم يفتح الباب ، ودارت رأسه في شدة . .

والحرب وقع الأقدام . .

وأظلمت الدنيا . .

وسقط (رجل المستحيل) فاقد الوعي . .

سقط أعزل عاجزاً . .

وكانت لعبة من ألعاب القدر . .



٣ - الرجل الخفي . .

غير آخر رجال (ديلون) ذلك الرفاق الضيق ، وهو
يجذب إبرة مدفعه الرشاش ، ويصطف في وحشية وشراسة :

— لقد وقعت أيها الشيطان المصري ، لقد ظفرك (بير) . .

وفجأة ، شر عارته ، واتسعت عيناه في دهشة ، عندما بلغ
الساحة . .

كانت الساحة خالية ، صامتة ، ساكنة . .

أبواب كل المنازل كانت مغلقة . .

ولا أثر لـ (أدهم) . .

واتسعت عينا الرجل ، وهو يديرهما في المكان ، قبل أن
يعقد حاجبيه ، هاتفا في سخط :

— اللعنة !!

ثم انزع من جيبه جهازاً لاسلكياً صغيراً ، وهنق في توثر :

— هنا (بير) . . لقد نجح ذلك الشيطان المصري في

دخول المدينة . . لقد هزم الجميع . . أنا الوحيد الباقى . . لقد

حاصرته داخل ساحة الصيادين . . أريد إمدادات . .

وبسرعة . .

جل رجال (موزوا) مدافعهم الآلية ، وهم يدبرون
عبونهم في الساحة الخالية ، ثم سأل زعيمهم (بير) في حذر :
— أأنت واثق من أنه قد احتضى هنا ؟

أجاب (بير) في حزم :

— تمام الثقة .

عقد الرجل حاجبيه ، وقال في عصية :

— أين ذهب إذن ؟

أجاب (بير) :

— لقد كان يمر سافه خلفه في صعوبة ، ولن يمكنه الابتعاد
كثيرا ، أو تسلق الجدران .. أراهنك أنه يخطئ ، داخل أحد
هذه المنازل الصغيرة .

غف الرجل في صرامة :

— منقلبها كلها رأسا على عقب إذن .

ثم أشار إلى رجاله ، هاتفا :

— هلموا يا رجال ..

اندفع الرجال نحو المنازل الآمنة ، وراحوا يطرقون أبوابها
في غف وخشولة ، ويقتحمونها في غلظة ، غير مباليين بصراخ
النساء ، وبكاء الأطفال ، وشخوب وجوه الرجال والشيوخ ..

فتشوا كل ركن ، وكل جدار ..

وكان من نصيب (بير) منزل صغير ، يجاور مدخل
الساحة تماما ، لم يكد يترك بابا ، حتى انفتح ، وأطل منه وجه
عجوز ، تجاوزت حشا السبعين من عمرها ، وإن شئت برق
عينها عن حيوة شائبة ، وهي تقول :

— ماذا تريد يا (بير لاشو) ؟

ازدرد (بير) لعابه في صعوبة ..

لقد كان يعرف تلك العجوز منذ طفولته ..

وكان يربها كباقي الأطفال ..

صحيح أنها لم تؤذ أحدهم يوما ، ولكنها لم تكن تبسم
أيضا ..

وكان أهل (مارسيليا) كلها يقولون إنها ساحرة ..

برق عينها كان يقول ذلك ..

وفي صعوبة ، غمغم (بير) :

— إننا تبحث عن رجل يا (جوزي) ..

تصاعف برق عينها ، وهي تقول :

— رجل ١٩ .. أي رجل هذا يا (بير) ؟

ازدرد لعابه مرة أخرى ، وغمغم في توثر :

— رجل هرب منا ، واختفى هنا يا (جوزى) .

عقدت حاجبها لى صرامة ، وهى تقول :

— لست أظنى مجرمين هنا يا (سىر) .

غمغم مطمئناً :

— بالطبع يا (جوزى) .. بالطبع .

فوجئ بزعم الرجال بدفعه جاناً ، وهو يقول لى خشوة :

— أما زلت تخشى تلك المأفوة ؟ لا بُدَّ من تفتيش

منزلها .. لا امشاعات .

حدقت لى عينيه ، بعينها اللامعتين ، وهى تقول :

— أخفأ يا (ميشيل) ؟

كان يكرهها تماماً ، إلا أن نظراتها جعلته يرتعف ، وهو

يغمغم :

— لا يمكننا أن نستنى أى مخلوق يا (جوزى) .

عادت تغمغم لى هدوء خفيف :

— أخفأ ؟ .. أتظننى بالكذب يا (ميشيل دى فال) ؟

وجد نفسه يزدرد لعابه لى صعوبة ، وهو يغمغم لى تخاذل :

— (جوزى) .. أنت تعرفين أوامر مسيو (موروا) .

أبصحت لى هدوء ، ثم أفسحت الطريق ، وهى تقول :



وكان أهل (مارسيليا) كلها يقولون إنها

ساحرة .. برقى عينها كان يقول ذلك ..

— لا بأس يا (ميشيل) .. لن يضيرني أن تفتش منزلي ،
فلست أخفي الجرمين أبداً .
لم يكن منزلها يحتاج إلى الكثير من الوقت لتفتشه ، وقبله
رأساً على عقب ، فقد كان يتكوّن من زخعة ، وحجرة
واحدة ..
وكانت خاليتين ..
خاليتين تماماً ..

ضرب (موروا) سطح مكتبه بقبضته في غضب ، وهو
يهتف مُخْتَفِئاً :
— أين ذهب ذلك الشيطان إذن ؟ .. هل اغتصب ؟
هز (بيير) و (ميشيل) اكتافيهما في خيرة ، وغمغم
الثاني :

— لست أدري أين ذهب حقاً يا مسيو (موروا) .. لقد
اغتصب تماماً .. إن (بيير) يؤكد أنه لم يفقد مكانه ، منذ اغتصب
ذلك الشيطان داخل الساحة ، ولا يوجد مخرج آخر لها ، ولقد
قمنا بتفتيش كل المنازل ، وكل الأسطح ، ولم نعث له على أدنى
أثر .

لوح بذراعيه الطويلتين في غضب ، هاتفاً :
— إذن فهو الرجل الخليل .
تم (ديبلون) ، الذي يجلس في أحد الأركان ، وقد أحاط
أنفه وفكّه بالصمادات الكثيفة :
— إنه لقادر على إثبات أي عمل خارق .. إنه شيطان ..
شيطان حقيقي ..

التفت إليه (موروا) في حدة ، وهتف في غضب :
— هل أزعجك إلى هذا الحد ؟
عقد (ديبلون) حاجبيه ، وقال معترضاً :
— صدقت يا مسيو (موروا) .. إنه ...
قاطعه (موروا) غاضباً :
— إنه مجرد رجل عادي .. رجل محظوظ فحسب .
رمقه (ديبلون) بنظرة مستكبرة ، وهو يغمم :
— محظوظ ؟ !

هتف (موروا) :
— نعم .. محظوظ ..
صمت لحظة ، ثم استدرك :
— ويحيد بعض المهارات ..

ثم عاد عطف ماعطاً :

— ولكن المهم هو أين ذهب ؟

غمغم (ديلون) في مراوغة :

— اطمئن يا سيور (موروا) .. هذا الرجل ليس من ذلك

الطراز ، الذي يدعك تبحث عنه طويلاً ، وما دعمم نحبزون

شقيقه فهو سيظهر .

وعقد حاجبيه في توثر ، وهو يستطرد :

— سيظهر حتماً .

وقفت المحور (جوزي) ، وتطلع إلى رجال (موروا) ،

ومدافعهم الرشاشة ، في هدوء ولا مبالاة ، وعيناها تشعان

بذلك البريق الخفيف ، حتى انتهوا من تفيش كل الماكين ،

والصرفوا خاليين ، فابتسمت في سخرية ، وغمغمت :

— إلى الجحيم .

ثم دخلت منزلها ، وأغلقت بابها خلفها ، واستطردت

ساخرة :

— إنني لا أكذب أبداً ، فأنا لا أخفي في منزلي الجرمين .

وأزاحت ستاراً على الحائط ، ودفعت جانباً من الحائط في

رفق ، فدار حول محور متوسط ، كاشفاً عن حجرة خفية ،

تخوي فراشا واحداً ، يرقد فوقه (أدهم) الفاقد الوعي ، وهي

تردف في هدوء :

— ولكن هذا الشاب لا يبدو مجرمًا .. لا يبدو كذلك

أبداً .

ثم انحنت تفحص ساق (أدهم) ، قبل أن تتصم :

— التهاب رهيب .. ضاعفه مجهود شديد ، يفوق احتمال

الساق ، حتى وهي سليمة .

مدت أصابعها ، وضغطت الساق في هدوء ، وتطلعت إلى

ذلك الاحمرار ، الذي انتشر من موضع ضغطتها ، وغمغمت :

— ورشح خلوي عفيف ، ما بين الجلد والعضلات .

ثم اعتدلت ، مستطردة :

— إنها حالة بالغة السوء حقاً .

واستدارت تتناول سكيناً ضخماً ، وهي تقول :

— في مثل هذه الأحوال ، يتر الأطباء الساق على الفور .

ثم ابتسمت ، وهي تؤدي السكين من الساق ، مردفة :

— وهم على حق ..

وبدأ السكين يقطع لحم ساق (أدهم صبري) ..

وسالت دماؤه ..

وقف مدير اخبارات المصرية في شرفة حجرته ، المطلة على
فناء مبنى اخبارات العامة ، وجاهد ليكنج دموعه حزينة ، ياغته
بالقفر غير جفنيه ، وسالت على وجهه ، على حين ارتفع صوت
(قدرى) من خلفه ، يغمغم في أسف :
— تعازى يا سيدي .. لقد كان ولدك بطلاً .
أجابه المدير في صرامة :
— هو ليس ولدي هنا يا (قدرى) .
أوماً (قدرى) برأسه مطههاً ، ومقلداً ، وغمغم :
— لقد فقدنا زميلاً عزيزاً على كل الأحوال .
غم مدير اخبارات في حزن وأسى :
— هذا صحيح .
ثم مسح تلك الدمعة القارئة ، قبل أن يلفت إلى
(قدرى) ، ويسأله في حزم :
— هل من أبناء عن (أدهم) ؟
هز (قدرى) رأسه في حزن ، وهو يقول :
— كلاً للأسف .. لقد اختفت أنباؤه منذ أسبوع كامل ..
منذ تلك الليلة ، التي لقى فيها (سمير) مصرعه (رحمه الله)
والتي احتفى فيها الدكتور (أحمد) ..

صمت لحظة ، ثم استطرد :

— وإننى لأحشى أن

لم يستطع إتمام عبارته ، فبهرها في ألم ، وزان الصمت على
المكان لحظات ، قبل أن يغمغم مدير اخبارات في لحفوت :
— دعنا نأمل ألا يحدث ذلك يا (قدرى) .. دعنا نأمل
أن يكون في خير حال .
لم يكذبتم عبارته ، حتى اندفع الرائد (وحيد) داخل
حجرته ، وهو يتف :
— سيدي .. برقية من (أدهم) .
التفت إليه مدير اخبارات و (قدرى) في لفظة ، على حين
انقطع وجهه ، وهو يستطرد في ارتباك :
— معذرة يا سيدي .. لقد نسيت أن أطرق الباب ، و.....
قاطعته المدير في لفظة :
— لا عليك يا (وحيد) .. ذكك من الرسائل الآن ،
وقل لي ، ماذا أصاب (أدهم) ؟ وماذا تقول برقيقته ؟
هت (وحيد) ، من فرط الانفعال ، وهو يقول :
— إنها مفاجأة مذهلة يا سيدي .. عن ساقه .. لقد ..
لقد .. يا إلهي !

اختطف مدير الخبايا البرقية من يد (وحيد) ، واندفع
(قدرى) يقرؤها معه بكل اللهفة ، ولم يكذب بينهم كلماتها ،
حتى هتف :

— يا إلهي .. يا إلهي .. يا إلهي .. ساقه ؟

ولم يحتمل كل هذا القدر من الانفعال ، فسقط على أقرب
مقعد إليه ، واحتقن وجهه في شدة ، وهو يرثد :
— يا إلهي .. هذا مستحيل .. مستحيل حقا ..

أطفاة (سونيا) سيجازها في عصية ، في منفصلة
السجائر الذهبية الأنيقة ، فوق مكتب (بلوميه) ، داخل
ناديه الفاخر للقمار ، وهي تهتف :

— ما تفسير ذلك باقة عليكم ؟ .. كيف يخطئ (أدهم
صبرى) لمدة أسبوع كامل ، وهو يعلم أننا نحفظ بشقيه ؟ ..
كيف ؟

غمغم (موروا) في توتر :

— لعله مات ..

لأرجح بذراعها ، هاتفة :

— أين جثته إذن ؟

تهتد (فتورا) ، وغمغم في لحفوت ، وهو يحفف عرقه
الغزير كالعتاد .

إننا لنبحت عنها .

صاحت في غضب :

— يا للسخافة ... لو أنه هنا لظهر ، سواء حيًا ، أو جثة
هامدة .

ترثد (بلوميه) لحظة ، ثم غمغم :

— ربما عاد إلى وطنه .

هزت رأسها نفيا في قوة ، وهي تقول :

— مستحيل !

هتف (فتورا) غاضبا :

— فليذهب إلى الجحيم .

— وأرجح جسده البالغ البدانة ، وهو ينهض من مقعده ،

ويهتف لاهئا :

— إننا لن نقضى عمرنا بظلمة ذلك الشيطان .. لقد سمع

رجالي هذا العمل السخيف .. متعاود أعمالنا المعتادة ،

وعندما يظهر — إذا ما ظهر — ستصعدى له ، ونرديه قتيلا .

قال (بلوميه) في قوة :

— هذا هو القول الصحيح .

أضاف (موزوا) في حماس :

— أمّا الآن ، فلنقتل شقيقه

هتفت (سولیا) فی ذکر

五

الثالث: المأكول الحيوان في دهشة ، فأضافت في توكيد :

— اتركه وحيدا .. إلى وقتنا الأخير ..

انصوب (يلوم) في الشبهة ، وهو يقول :

أما زلت تعلم ذلك المصنف ؟

علاقہ: حاجی خان، ڈی. اے. افسر، قادیان، پنجاب:

وہاں سے آکر آگے آگے

— بل القدرة على القدرة

أطلق عليه

استعمار و قاتل

— لا بأس .. فليبق حيا ..

ثم انسم في سخرة ، مستظردا :

— ولکتا ہے

غَبَرَتِ الْعَجُوزُ (جَوْزَى) ذَلِكَ الرَّفَاقَ الضَّيِّقَ ، الَّذِى يَقُودُ إِلَى السَّاحَةِ ، وَبَدَتْ يَعْظُمُهَا الرِّثْ ، وَاتِّعَادَ حَاجِبِهَا ، وَبَرِيقَ عَيْنِهَا ، وَتِلْكَ الْحَقِيقَةُ نَحْتُ إِبْطِهَا ، أَشْبَهَ حَقًّا بِالسَّاحِرَاتِ ، حَتَّى أَنَّ أَحَدَى جَارَاتِهَا مَالَتْ عَلَى أُذُنِ زَوْجِهَا ، وَهَمَسَتْ :

— (فيليب) .. هذه العجوز تخيفني في شدة .

اسم زوجها ، وثفت دُخان غليونه لى هدوء ، وهو يقول :

— انها ممكنة . . . لقله ، ام لا ، فيها ضحكة حادث صيد .

ولقد بقيت منذ ذلك الحين مخلصة للذكراه .. وحيدة .. وهي
اتخذ أحداً لها

غرفة: ١٠٠٠

وَأَكْبَرُ الْخَلْقِ

— (۱۰۰) جیلی

بعض الناس يقولون :
بعض الناس يقولون :

— لا تنظري إليها إذن .

ثُمَّ أَقَامَا ، وَلَمْ يَلْتَفِتَا إِلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْهُ ، وَهِيَ تَهْمِلُ فِي الْحَفَوتِ



أومات برأسها إيجاتا ، وأضافت :
 — نعم ... ولقد ابصت لك تلك المواد التي طلبتها ..

— جهلة .

ثم دلفت باب منزلها ، ودلفت إليه ، وأغلقت خلفها في
 إحكام ، وانجھت إلى السار ، الذي يعطى حائط الحجر
 السرّة ، وأزاحه ، وأدارت الحائط في رفق ، ثم ابصت ،
 وهي تتطلع إلى (أدهم) ، الذي استلقى فوق الفراش ، وقالت
 في حنان :

— كيف حالك اليوم ؟

ابسم (أدهم) ، وهو يقول :

— في خير حال .. والفضل يعود إليك .

تضرج وجهها بخمرة خجل ، بدت عجيبة مع تفضن
 الوجه ، وهي تتم :

— إنني لم الفعل شيئا يُذكر .

ابسم (أدهم) ، وسألها في اهتمام :

— هل أرسلت الرقية ؟

أومات برأسها إيجاتا ، وأضافت :

— نعم .. ولقد ابصت لك تلك المواد التي طلبتها ، وإن
 كنت أجهل ، على الرغم من خبزي الطيبة ، ليم يمكنك
 استخدامها ؟

ضحك قائلاً :

— في أغراض غير طيبة .

ثم أطلق ضحكة أخرى ، وقال :

— أراهن أن البرقية ستبشر ذهولهم في الإدارة .

ابتسمت مغفمة :

— أتقصد بشأن سالفك ؟

ابتسم مغفماً :

— بالطبع .. كيف يمكنهم أن يصدقوا أن عقريّة مثلك قد

تحدّثت أقوال أربعة من أربع أطباء العالم ، وهزمتهم جميعاً .

غمغمت في حياء :

— إنني لم الفعل سوى أن جرحت الساق ، في موضع

الانتهاب ، ووضعت فوقها بعض الأعشاب والنباتات الطيبة ،

كما علّمتني زوجي الراحل ، منذ ما يقرب من نصف القرن .

هتف وهو يعجل ، ويقلّز واقفاً على قدميه ، في حيوية

ونشاط :

— ولقد كانت النتيجة رائعة .. لقد شُفيت ساق قائماً ،

وعادت إلى سابق عهدها .. بل أفضل مما كانت .

تحنّت في حنان أمومي :

— كم يسعدني ذلك .

جلست تراقبه في حنان ، وهو يراجع محتويات الحقبة ، قبل

أن تسأله :

— والآن ماذا ستفعل ؟

أجابها في هدوء :

— سأبحث عن أخي .

تهدّدت في عمق ، وغمغمت :

— أنت تلعب بالنار يا ولدي .. إنك تواجه ثلاثة من

أشرس مجرمي العالم .. سواء (فتورا) ، أو (بلوميه) ، أو

(موروا) ، وهم يمتلكون كل شيء في هذه المدينة ، والانتصار

عليهم يحتاج إلى جيش كامل .

انحنى يقلّل وجتها ، وهو يقول :

— اطمئني يا (جوزي) .. لقد حطّمت ألوف من هم

أكثر قوّة منهم سابقاً .

تهدّدت قائلة :

— فليوفّقك الله يا ولدي .. إن ماتسعي إليه هو حلم

مديتنا . ورثنا حققت أنت هذا الحلم في تلك الجولة

الجديدة .. ربّما .

٥ - الأول ..

استرخى (موروا) في حمامه الضخم ، وسط المياه الدافئة ، ورغاوى الصابون ، التي تغطي كل جسده تقريباً ، فيما عدا عنقه ورأسه ، وهو يُسبِّل جفنيه ، وينتفخ دُخان سيجار ضخيم بين أسنانه ، ويخلم بتلك الأيام السعيدة الرائعة ، مع (سونيا جزاهام) الفاتنة ، بعد أن يقضى على (أدهم صبرى) ، أو يعثر على جسده ..

وأفاق من أحلامه بغتة ، على صوت نَحْحة قرية ، ففتح عينيه ، وعقد حاجبيه في غضب ، وهو يقول :

— ماذا تريد يا (ميشيل) ؟ .. إنني أنعم بحمامي اليومي المعطر ، وأنت تعلم كم أكره أن يقاطعني أحد خلاله .

تمم (ميشيل) في توتر :

— معذرة يامسيو (موروا) ، ولكن هناك مفتش شرطة جديد ، يرغب في مقابلتك ، ويصرُّ على أن يكون ذلك فوزاً .

عقد (موروا) حاجبيه في توتر ، وهو يغمغم :

— مفتش شرطة جديد ؟

ثم سأله في قلق :

— هل يعرج ؟

هزَّ (ميشيل) رأسه نفياً ، وابتم في أعماقه ، وقد أدرك مغزى سؤال زعيمه ، وأجاب في هدوء :

— كلا .

عقد (موروا) حاجبيه أكثر ، ومطَّ شفتيه ، على نحو زاده قبحاً ، وهو يقول :

— ماذا يريد ذلك التافه ؟ .. ولماذا لم يبلغني ذلك الوعد (تروندو) ، بوجود مفتش شرطة جديد في صفوفهم ؟

أخذ يفكر في الأمر بعض الشيء ، ثم لم يلبث أن قال في صرامة :

— لا بأس .. دعه يأتي إلى هنا ، وأحضر عشرة آلاف لفرلنك نقداً .

وابتم في سُخرية ، مستطرداً :

— سنتنمه إلى قائلة المرتشين ، من رجال الشرطة .

ابتسم (ميشيل) في سُخرية مشابهة ، وهو يقول :

— كما تأمر يامسيو (موروا) .

غادر الحمام الفاخر لحظات ، ثم عاد ومعه المفتش الجديد .

ولم يكذب (مورو) ، يلقى نظرة على المفتش ، حتى تلاشى كل ما بقى في أعماقه من شك ..
لقد كان المفتش أصعب الرأس ، ضخيم الأنف .. كث الشارب ..

وكانت في لحيته رثة مضحكة ، وهو يقول :
— سيو (مورو) حينما اعتقد .. أليس كذلك ؟
اتسم (مورو) تلك الابتسامة ، التي تزيد قبحها ، وهو يقول :

— صحيح أنني لا أرتدى ثيابي ، ولكنني هو ..
اتسم المفتش ، في برود ، وكأنما يجامله ، ثم قال :
— أنا المفتش (جان بول) .. ملحق بشرطة (مارسيليا) حديثا ..

غمغم (مورو) في تجاهل :
— مرحبا .. لماذا لم تخبرني (ترودو) بقدمك ؟
قال (جان بول) في هدوء :
— أتقصص المفتش (ترودو) ؟ .. لعله لم يفعل ؛ لأنني قد وصلت حديثا .. حديثا جدًا .
مطأ (مورو) شفتيه ، وهو يغمغم :

— ربما .

ثم عاد يسترخي في حمامه ، ويسأله في لامبالاة :
— ماسر هذه الزيارة يا ثري .

— تتحجج المفتش (جان بول) ، قبل أن يغمغم :
— هناك رجل يتهمك باختطاف شقيقه ، وإخفائه هنا .
اتسمت عينا (مورو) ، وهب جالسًا ، وهو يهتف :
— ماذا ؟ !

ثم انعقد حاجباه في شدة ، وهو يقول في توكر :
— من هذا الرجل ؟ .. ما اسمه ؟
هز المفتش رأسه نفيًا ، وهو يقول في هدوء :
— ليس هذا من شأنك يا سيو (مورو) .. القانون يمنع المبلغ الحق في

قاطعه (مورو) في غضب :
— فليذهب القانون إلى الجحيم .
انعقد حاجبا المفتش في غضب ، وتبدل صوته على نحو مذهل ، وهو يقول :
— بل فلتذهب أنت أيها الحقير .
اتسمت عينا (مورو) في رعب وذقور ، ولقن محاولة

الوصول إلى مسدسه ، إلا أن نشاطاً رهيباً قد دُبَّ فجأة في جسد
المتنفس ، ففقر قفزة مذهلة ، أوصلته إلى ما خلف (موروا) ،
وأحاط عني هذا الأخير بساعده في قوة ، وهو يتف في
صرامة :

— أين أخي أيها الحقير ؟ .. أين هو ؟

احتق (موروا) في شدة ، وجحظت عيناه رعباً وألماً ،
وراح يضرب ماء الحمام المعطر بساقيه وذراعيه ، وهو يتف
في صوت متحشرج مختق :

— إنه ليس هنا .. ليس هنا ..

اشتد ضغط ساعد (أدهم) على عنقه ، فيكي ، وهو
يتف :

— أقسم لك إنه ليس هنا .

سأله (أدهم) في صرامة :

— أين هو إذن ؟ .. أين ؟

هتف وقد جحظت عيناه في شدة :

— هناك .. عند

قبل أن يتم عبارته ، اندفع (ميشيل) داخل الحمام ، وهو
يقول :

— ها هو ذا المبلغ أيها الزعيم .. إنه

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق فيما يحدث أمامه ، ثم تخطى عن
أوراق النقد ، وانتزع مسدسه ، وهو يصرخ :

— اللعنة !! إذن فهو أنت .

وأطلق النار ..

لقد استعاد (أدهم) قوته ..

فأرقه عجزه ، واستعاد عفوانه وقدراته ..

إنه لم يكذب يرى ذلك المسدس ، وهو يصوب نحوه ، حتى
جذب (موروا) خارج حمامه المعطر ، وجعل من جسده
ذراعاً ، يحول بينه وبين رصاصة (ميشيل) ..

ولكن رصاصة (ميشيل) أصابت هدفًا ..

أصابت قلب زعيمه تمامًا ..

وجحظت عيناه عملاق (مارسيليا) في ألم وذُهور
ورُعب ..

واندفع الدم من موضع قلبه تمامًا ، ليلوث الحمام المعطر ..

وصرخ (ميشيل) في رُعب :

— ميو (موروا) ..

تخطى (أدهم) عن جسد (موروا) ، وفقر نحو
(ميشيل) ، وأطاح بمسدسه بركلة من يسراه ، وحطم أسنانه
بركلة كالقنبلة من يمينه ..

وصرخ (ميشيل) : وهو يسقط أرضاً :
- التجدد يا رجال !!

وقبل أن يتلاشى رنين صيحته ، اندفع أربعة عمالقة
مسلحين بالمدافع الرشاشة داخل الحمام الضخم ..
وبنظرة واحدة ، أذكروا الموقف كله
وارتفعت فؤحات المدافع الرشاشة الأربعة في وجه
(أدهم) ..

كل ما يذكره هؤلاء الرجال الأربعة ، وكل ما ذكره فيما
بعد ، هو أنهم قد رفعوا فؤحات مدافعهم في وجه (أدهم) ،
وبعدها هبّ إعصار ..
إعصار عاتٍ مدمر ..

لقد قفز (أدهم) نحوهم في مرونة ورشاقة مذهلتين ،
وهشمت قبضته اليمنى فك أدهم بلكمة كالقنبلة ، ثم ارتفعت
قدمه اليسرى ، لتطيح بمدفع النائي ، وتراجعت في حركة
دائرية ، لتفوض في معدة الثالث ، في نفس اللحظة التي قفزت
فيها القدم اليمنى ، لتركل الرابع في صدره ، وأعقبتها القبضة
اليسرى كالصاعقة في أنفه ..
وبحركة دائرية معقدة ، ركلت قدم (أدهم) فك الثالث ،
ومعدة الثاني ، ثم قفزت إلى فك هذا الأخير ..



نخل (أدهم) عن جسد (موروا) ، وقفز نحو
(ميشال) ، وأطاح بمسلحه بركلة من يسراه ..

وانتهت المعركة في ثابيتين على الأكثر ..

وبسرعة ، انحنى (أدهم) يلتقط أحد المدافع الرشاشة .

ثم اندفع يشق طريقه وسط قصر (مورو) ..

وكانت رصاصاته تصيب هدفها حتماً ، كما لو كانت

صواريخ موجهة ، إلا أن حراس الباب احتسوا بعض القذائل

الرخامية ، وراحوا يتبادلون معه إطلاق النار في شراسة ..

وتراجع (أدهم) ، واندفع نحو الحمام مرة أخرى ، وتبعه

أكثر من عشرة رجال ، على حين اقتحم هو الحمام ، واندفع

نحو نافذته ، وأحرقها بقفزة رهبة ، وحطم زجاجها ، وهوى

فتها إلى الحديقة ، في عيادة مفاجئة سريعة ، وقبل أن يستدير

جميع رجال (مورو) لمواجهته ، كان قد قفز داخل واحدة

من سياراتهم ، وأدار محركها ، وانطلق بها كالصاروخ ، مخطفاً

بوابة القصر ، ومتغادياً رصاصات حراسها ، ومتعداً في سرعة

جنونية ..

وفي الحمام ، انحنى أحد رجال (مورو) بفحص زعيمة ،

ثم شخب وجهه ، وهو يتحدل مغمغماً في ارتياح :

— لقد مات .. لقد قتله الشيطان المصري ..

٦ — إجراءات أمن ..

« قتله ..!؟ .. »

هَبْ (فتورا) من مقعده ، وهو يتف بتلك العبارة في
زُعب وذُفول ، وراح يلهث في شدة مخيفه ، ويعقف شللاً من
العرق ، غمر وجهه ، وهو يستطرد في ارتياح :

— قتل (مورو) !! .. ذلك الشيطان المصري قتل

(مورو) !!

هتف (ديلون) في توتر بالغ :

— والأدهى أنه قد نجح في الفرار يامسيو (فتورا) .

صاح (فتورا) في دُغر :

— ولماذا لم تبلغوا الشرطة ؟ .. لم لم تحاولوا استغلال

سلطاننا ؟

أجابته في عصبية :

— لقد فعلنا يامسيو (فتورا) ، ولقد عمر رجال الشرطة

على السيارة ، ولكنها كانت خالية ، ولم يعثروا لذلك الشيطان

على أثر ..

قالت (سونيا) في حدة :

— ولن يعرفوا عليه .

التفت إليها (فتورا) في دُعر ، وهو يحف :

— ماذا تقولين يا (سونيا) ؟ .. أتحاولين إثارة فزعى ؟

جبت من مقعدها ، وهي تقول في تولثر :

— كلاً ، وإنما أحاول تصيرك بالأمر .. إن مايرويه

(ديلون) الآن ، يعنى أن (أدهم) قد استعاد قوته وقدراته

بوسيلة ما .. صحيح أن هذا يبدو لي مستحيلاً ، بكل المقاييس

الطبية ، ولكن لا يوجد مستحيل ، مع رجل مثله .

هتف في عصبية وخوف :

— سأطفر به يا (سونيا) .. سأطفر به حقاً .. مادام

داخل المدينة .

— سأؤزع صورته على كل رجالى . و

لأرحمت بكفها ، صالحة :

— كفى يا ميسو (فتورا) ، من الواضح أنك تجهل تماماً

قدرات خصمك .. وهذه هى أولى الخطرات نحو القتل ..

إنك تواجه شيطاناً قريداً ، يجيد التنكر ، على نحو قادر جداً

المرأة نفسها ، ويحدث كل اللغات الحية تقريباً ، و

هتف بقاطعها في دُعر :

— وماذا !؟

ثم صاح في وجه (ديلون) :

— اسمع يا بنى .. إننى سأبقى هنا ، ولن أغادر مكبى

هذا ، حتى يم العثور على ذلك الشيطان ، والتخلص منه ،

وحى ذلك الحين : ستعمل على إحاطتى بسوار أمن مُحكم

الإغلاق ، لا تتجح في إحراره ذبابة واحدة .. هل تفهم ؟

اعتبر نفسك منذ هذه اللحظة ضمن رجالى ، بعد مصرع

زعيمك .. وستصبح ذراعى اليمنى ، كما كنت يائسة

لـ (موزوا) المسكين ، وأريد منك أن تتولى أمر حياتى .. هل

تفهم ؟

أجابته (ديلون) في تردد :

— سأحاول يا ميسو (فتورا) .

صرخ (فتورا) في هياج :

— إننى أكره صماع هذه الكلمة المائعة .. قل لي .. هل

ستفعل أم لا ؟

تنهد (ديلون) في عسق ، وقال :

— سأفعل يا ميسو (فتورا) .. سأفعل ..

قالها واتجه نحو الباب ، فهتف به (فتورا) في تولثر بالغ :

— إلى أين ؟

أجابه في توتر مماثل :

— سأبدأ في نشر إجراءات الأمن يا ميسو (فتورا) .

لوح (فتورا) بكفه ، هاتفا :

— نعم .. نعم .. اذهب .. هيا .. لا تضع وقتا .

لم يكذب (ديلون) ينصرف ، حتى غصمت (سونيا) :

— قراء .

تطلع إليها (فتورا) في دُعر ، وراح يلهث ، ويخلف عرقه

الغزير ، وهو يسألها في انبهار :

— ماذا هناك يا (سونيا) ؟ .. ما الذي تحاولين فعله في ؟

عقدت حاجبها في شدة ، وهي تقول في توتر :

— لا شيء يا (فتورا) .. لا شيء .. ولكنني أحشى أن

كل هذا لن ينف عائقا في وجه (أدهم) .. لو أنه يرغب في

الوصول إليك .

راح يتغض في دُعر ، وهو يفهم :

— أنت تبالغين يا (سونيا) .. تبالغين حقا .

ثم لوح بذراعه المكتظ ، مستطرذا في صوت لاهت :

— أنت لا تعلمين لماذا أقمت مكثي ، في هذه البقعة

بالذات ؟

إنه يطل على البحر من ثلاث جهات ، ويرتفع عن الأرض
بأعمدة عارية ، بحيث يستحيل أن يسأل مخلوق ، من البحر
إلى هنا ، دون أن يبدو واضحا للأعين ، كنقطة سوداء ، على
سطح أبيض لامع .. صدقيتي .. ليست هناك وسيلة للولوج
مكثي ، سوى عبر مدخله البري الوحيد ، وأنا أضع حراسة
مشددة عليه ، كما سمعت ..

مطت شفيتها ، وهي تفهم :

— كل جهاز أمن ، مهما بلغ إحكامه ، يحوي ثغرة .

و (أدهم) خير بكشف هذه الثغرة ، واستغلالها إلى أبعد

مدى .

هتف في سخط :

— أتعارينه ، أم تعلمين لحسابه ؟

عقدت حاجبها ، وهي تقول في صرامة :

— إنني أكره التقليل من شأن الخصم ..

احتقن وجهه ، وهو يتطلع إليها لحظات في صمت ، ثم هتف

في توتر :

— سأقتل شقيقه ..

عقدت حاجبها في غضب ، وهي تقول :

— ستكون هذه أكبر حقاقة تركبها في حياتك .

هتف في غضب :

— أن أقل شقيقه ؟

أجابته في حدة :

— بل أن تفقد أكبر ورقة ، يمكنك أن تساوم بها .

صمت لحظات ، ثم جفف عرقه في عصبية ، مغمغماً :

— نعم .. أنت على حق ..

ابتسمت في ظفر ، وقالت :

— ولكن اطمئن يا صبي (فتورا) .. إنني أعرف هذا

الرجل جيداً ، كما لا يعرفه مخلوق آخر ، في هذا العالم ، وأنا

أعلم كيف أهزمه ، وأهوز به في النهاية .

ومنتحه ابتسامة عذبة ، ثم انجذبت نحو الباب ، وهي تستطرد

في صوت شديد الخفوت ، لم يسمعه سواها :

— بعد أن يقتضى عليكم جميعاً ،

ومن أعماقها ، انطلقت ضحكة شيطانية ساخرة ..

أحاط رجال (فتورا) بمدخل مكتب زعيمهم ، وهم

يديرون عيونهم فيما حولهم في تحقّر ، ومدافعهم الرشاشة في

أيديهم متحفرة ، متوردة ، وأصابعهم فوق أرتدعها متألمة .

متيقظة ، وقال لهم (ديلون) في صرامة :

— مهنتكم تقتصر على منح أي مخلوق من الاقتراب من

هذا المكان ، أو الصعود إلى الزعيم ، سوى ، وسوى مسيو

(بلوميه) ، وعدموازيل (سونيا) .. ولا تترددوا في إطلاق

النار على من هو دون ذلك ، مهما بدا مظهره ، ومهما كانت

هيئته .. حتى ولو كان رجل شرطة ، أو عجوزاً ، أو حتى

كاهناً .. هل تفهمون ؟

أومتوا برغوسهم علامة الفهم ، فاستعار هو عبارة

(فتورا) ، قائلاً :

— لا أريد لذيابة واحدة أن تحرق ستار الأمن هذا .

عادوا يومنون برغوسهم ، فاعتدل ، وزفر في تولثر ، وهو

بهمهم :

— لعل هذا ينفع ..

ثم انجذ إلى سيارته ، وانطلق بها إلى منزله ، وهو يشعر في

أعماقه بخوف منهم ..

خوف غامض عجيب ..

فتح الدكتور (أحمد) عييه في صعوبة ، وهو يتطلع إلى تلك

الزائرة الفاتنة ، التي دلفت إلى حيث يحتجرونه ، منذ ثمانية أيام ، وغمغم في خنق .

— أهو أنت يا (سونيا) ؟

كان يتحدث بالعربية ، فأجابته بها في طلاقة :

— نعم .. هو أنا .

حاول أن يتسم في ألم وصعوبة ، وهو يقول :

— لاريب أن (أدهم) قد ظهر ، مادمت أحظى بتلك

الزيارة .

جلست في مواجهته ، وتأملت ملامحه الوسيمة ، وذقنه

النامية ، وأدهشها كثيرا أنه لا يوجد أدنى تشابه بينه وبين

(أدهم) ، حتى أنها قد تساءلت عما إذا كانا حقًا شقيقين ،

قبل أن تقول في هدوء ، وهي تضع إحدى ساقيها فوق

الأخرى ، وتشعل واحدة من سجائر الرقيقة :

— نعم .. لقد عاد .

سألتها الدكتور (أحمد) في هفة ، لم يفلح في إخفائها :

— أهو بحر ؟

ابتسمت في سخرية ، وهي تقول :

— حتى الآن ، نعم .

تتهذ في ارتياح ، فأردفت في برود :

— لأنه يتعامل مع أغبياء .

غمغم في استرخاء :

— أمكذا تصفين رفاق العمل ؟

قلبت شفتيها في امتعاض ، وهي تقول :

— رفاق عمل ؟ .. كلاً يا عزيزي .. إنهم ، وعلى الرغم من

قوتهم وعظمتهم ، وما يحيطون به أنفسهم من قوة وفخامة ،

لا يصلون إلى ذلك المستوى ، الذي يستحقون فيه أن أطلق

عليهم لقب (رفاق العمل) .

تمم ساخرًا :

— مثل (أدهم) .

ومعته نظرة باردة ، ونفثت دُخان سيجارتها في عمق ، قبل

أن تقول في تحد :

— نعم .. مثل (أدهم) .

وبهتت ، تستطرد في توكر :

— إن (أدهم) رفيق عمل ، إلى الحد الذي جعلني أفهمه

تمامًا ، وأستطيع أن أقدر كل قوائمه وقدراته ، حتى ما يبدو

للآخرين منها مستحيلًا .

جذب ساقه المكسورة ، وأراح موضعها قليلاً ، قبل أن
يسألها :

— ولكن لماذا تعبرينه غداً ؟ ألم ينته عملك
بـ (المرسد) ؟

هتقت في شراسة :

— هذا هو السبب ، إنه المستول عن فصل من صفوف
(المرسد) ..

ثم نفثت دخانها في عصية ، قبل أن تستطرد :

— أنعلم ؟ .. أنا واقفة من أنه سيترجم (فتورا) و (بلوميه)
مهما اتخذنا من احتياطات ، وأنا أنتظر أن يفعل ، وبعدها أظفر
أنا به ، فأبدو أكثر قوة منهم جميعاً ..

سألها ساخرًا :

— وماذا لو فشلت في اقتاصه أيضًا ؟

أجابته في عصية :

— سيكون هذا من سوء حظك .

ثم نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قبل أن تزدف في
وحشية وشراسة :

— لأنني في هذه الحالة سأنتقم .. و وأنتك ..



ثم نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، قبل أن تزدف في وحشية وشراسة :
— لأنني في هذه الحالة سأنتقم ..

٧ - الثاني ..

كان تولر (فتورا) ورعيه بضائعان ، في كل ثانية عمره ، وهو داخل سجنه الاختياري ، حتى بات مظهره يدعو للرأء والإشفاق ، بجسده البالغ الضخامة والبدانة ، ووجهه المخترق ذوؤما ، وذلك العرق الغزير ، الذي يتصبب ذوؤما على وجهه ، حتى في أيام الشتاء القارصة البرودة ، واللهاث الذي بات جزءا من أنفاسه العادية ..

ولقد أصابه الملل ، من كثرة ما تطلع إلى جوانب البحر الثلاثة ، وإلى رجاله ، الذين يحيطون بالمكان في تحفر وتوثر ، فهتف في سخط ..

— اللعة !! متى يتم القضاء على ذلك الشيطان ؟

زفر في قوة ، وتطلع في اهتمام إلى سيارة (ديلون) ، التي اقربت من مكتبه ، وغمغم متوترا ..

— لعله يعمل خير القضاء على ذلك الشيطان ..

وصعت لحظة ، وهو يراقب توقف السيارة ، و (ديلون) الذي هبط منها ، وراح يصعد إليه في سرعة ، واستطرد سائحا :

— إنه آدمي يمكن التحدث إليه على الأقل ..
طرق (ديلون) باب المكتب ، فهتف به :
— ادخل ..

دخل (ديلون) في هدوء ، فسأله هو في لطف :
— هل تحمل أخبارا جيدة ؟

قلب (ديلون) كتفيه ، وهو يقول :
— لا أثر لذلك الشيطان ..

عقد (فتورا) حاجبيه ، وهو ينف في خفق :
— هل اخفى ؟ .. هل تبخر ؟

هز (ديلون) كتفيه ، وهو يقول :
— أظنه يبحث عن أخيه ..

ثم مال نحو (فتورا) ، مستطردا :
— لم لنعطيه إياه ، لينصرف عنا ؟

هتف (فتورا) في استكار :

— ماذا تقول أيها الجنس ؟ .. أطلب منا الاعتراف بهيئتنا ؟ .. أطلب منا أن نسلّمه أخاه ، ونعطيه له عما فعلناه

به ، ونرد له (سونيا) الخمسة ملايين دولار ؟

رفع (ديلون) حاجبيه ، وهو يقول في دهشة :

لَوْح (فتورا) بكفه ، وهو يقول :

— إنها نصف القيمة فحسب ، وستحصل على النصف .

الآخر ، بعد أن نقضى عليه .

عمهم (ديون) في سُخْرية :

— عجباً !.. يبدو أن رجل المخابرات المصرى هذا ياهظ

التمن .

عقد (فتورا) حاجبه ، وهو يغمغم :

— نعم .. يبدو ذلك .

ولمعاة ، دوى صوت من أسفل جسد الدماء في عروق

(فتورا) ..

كان صوت (ديون) ..

(ديون) الواقف أمامه ، كان صوته يدوى في أسفل

وهو يتف :

— الحفوا به .. ذلك الذى يحتل مظهرى الزائف .

حذق (فتورا) في وجه (ديون) ، وهو يتف في

رُشْب :

— من أنت إذن ؟

ارتسمت على شفتي الواقف أمامه ابتسامة ساخرة خفيفة ،

وهو يقول في هدوء شديد :

— إننى الرجل الذى تبحث عنه أيها الوغد .. أنا (أدهم

صبرى) ..

تصاعد وقع أقدام رجال (فتورا) ، وهم يصعدون في

الدَّجَج إلى مكتبه ، على حين حذق هو في وجه (أدهم) في

دُخُول ، ثم قفز نحو مكتبه ، هاتفا :

— لن نتال منى .

كانت قبضة (أدهم) أسبق إلى فكّه ، فألقته أرضاً بلكمة

كالتقبلة ، وطلعا يقول في سُخْرية :

— مُعال أيها الوغد .. ينبغي أن تتخلّى عن طغيتي من

الشحم أوّلاً .

صرخ (فتورا) في زعج و ألم ، عندما أحاط (أدهم)

عنقه بساعده ، وغرس فَوْهَةً مسلّسه في جنبه ، في نفس

اللحظة ، التى اقتحم فيها (ديون) الحقيقى ورجاله المكعب ،

وهتف الرجل في سُخْط :

— عليك اللّعة !! كيف وصلت إلى هنا ؟

أجاب (أدهم) في سخرية ، وهو يختصي بحسد (فتورا)
الصخم :

— لقد تسَلَّت إلى هنا تحت الماء ، وأدركت استحالة بلوغ
مكتب ذلك الفيل الآدمي من هناك ، وبينما كنت أبحث عن
وسيلة ، سمعتك تبليغ أوامرك لرجالك ، وفهمت منها أنه غير
مسموح بالصعود إلى بيت الفيل ، سوى لثلاثة : أنت ، وذلك
الوغد (بلوميه) ، و (سوتيا) ، ولما كان (بلوميه) شديد
التحول ، على نحو استحيل معه أن أتدخل شخصيته ، ولما كان
من المستحيل محاكاة جمال عزيزتنا (سوتيا) الفئاة بالتكرار ،
فلم يُعد أمامي سواك .

هتف (ديلون) في غضب :

— إنك لم تتوقع أن أعود بهذه السرعة .. أليس كذلك ؟
"أوما" (أدهم) برأسه إيجاباً ، وقال في سخرية :
— لا في الواقع ، فلقد قدرت أن تكتمني ستفقدك الرغبة
لثلاث ساعات على الأقل ، ولكن يبدو أنك أقوى مما كنت
أتوقع .

شهر (ديلون) مسدسه في وجهه ، وهو يهتف :

— أتوقع أن تتأذى هذا المكان حياً ؟

أجاب (أدهم) في برود ساخر :

— بالطبع .. ما دمت أحسب بذلك الفيل .

هتف (فتورا) في رعب ، وهو يختصي ، من شدة ضغط
ذراع (أدهم) ، على أكوام الشحم حول رقبته :
— لا تطلقوا النار .. لا تغسوه بسوء .. دعوه ينصرف في
سلام ويتركني .

قال (أدهم) ساخراً :

— نسيت أن تأمرهم بتسليمي شقيقى .

هتف (فتورا) ، وقد صار يلهث كقاطرة بخارية قديمة ،
والعرق يتساقط على وجهه كفيض من الماء الجار :

— إنه ليس هنا .. أقسم لك إنه ليس هنا .. إن (بلوميه)
يحفظ به في قبو الخمر ، أسفل تاديه الرئيس .. أقسم لك .
عقد (ديلون) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

— يبدو أنك قد حسرت كل شيء هذه المرة يا مسيو
(أدهم) ، فشققتك ليس هنا ، ولقد أخطأ منطقة المياه ، حول
المكان ، بأسلاك مكهربة ، وملأناها بأسمائك القرش ،
ولا توجد وسيلة واحدة للفرار من هنا .

قال (أدهم) في سخرية ، وهو يشدد الضغط على عنق
(فتورا) :

ومن قال إننى سأجأ إلى هذه الوسائل المعقدة ؟ ..

سأدفع أمانى هذا القبل البشري ، ونغادر المكان من باب
الرئيسى ، أمام عيون الجميع .

أجاب (ديون) فى حدة :

— لو أنك تتصور ذلك ، فاسمح لى أن أؤكد خطأك .

هتف (فتورا) ، وهو يكاد يتهار رعبا :

— دعوه يخرج يا (ديون) . دعوه .

قال (ديون) فى صرامة :

— أسف يا سيو (فتورا) . لا أحد هنا يستطيع

أوامرك ، فلقد كان سيو (بلوميه) يتوقع ذلك ، فاشتري كل

رجالك ، ووعدهم بأن يتقدمهم ضعف ما تقدمهم إياه ، مقابل

ألا يسمحوا لذلك المصرى بالفراغ ، حتى ولو كان ذلك على

حسابك أنت شخصيا .

ولى آن واحد ، ومع تلك المفاجأة ، شعر (أدهم)

بشخص يتسأل إليه من النافذة ، خلفه تماما ، فى نفس اللحظة ،

التي هتف فيها (ديون) :

— اقتلوهما يا رجال .

وعلى الفور ارتفعت قوّهات المدافع الرشاشة فى وجهي

(أدهم) و (فتورا) .

وانطلقت النيران .

٨ — صراع فى الميناء ..

اتسعت عينا (بلوميه) ، وبقيا فى شدة ، وهو يستمع إلى

ذلك الرجل ، من رجال (فتورا) ، الذى هرع إليه ، ليبلغه

بالأمر . فور ظهور (ديون) الحقيقى ، وعوده مع باقي

الرجال إلى مكتب (فتورا) . وهتف وجسده النحيل كله

يرتجف فى انفعال :

— إذن فذلك الشيطان المصرى هناك . هل قلوه ؟

أجاب الرجل فى لفحة :

١ — إني لم أنتظر حتى يفعلوا يا سيدي ، لقد هرعنا إلى هنا

على الفور ، لأخبرك بالأمر .

برقت عينا (بلوميه) مرة أخرى فى شدة . وهو يقول :

— أحست يا رجل .

ثم انضت إلى (موريس) ، واستطرد فى انفعال :

— أرسل إليهم الإمدادات يا (موريس) . حاصروا

الميناء ، افعلوا أى شيء ممكن ، ولكن اقتلوا ذلك الشيطان .

انحنى (موريس) فى احترام ، واندفع بنقذ الأمر ، على

حين أخرج (بلوميه) من جيبه رزمة مالية ، ألقاها للرجل ،
وهو يكرّر :

— أحسنت يا رجل .. الحق بهم .. هيا ..

التقط الرجل رزمة الأوراق في لفظة ، وانحنى أمام زعيمه
الحديد في شدّة ، وهو يتراجع ، حتى أسرع بفعل الأمر بدوّه ،
على حين ارتسمت ابتسامة كبيرة واسعة على شفاه (بلوميه) ،
وهو يلتفت إلى (سير) ، ويقول في لهجة ظافرة :

— أرسل في طلب (سونيا جراهام) .. إنها تقضى نصف
وقتها هناك ، مع ذلك الطبيب ، في قبو النيد .. قل لها إن
ما يغيته قد تمّ .

وتألفت عيناه في زفير ونصر ، وهو يستطرد :

— وإننى قد صرت ملك (مارسيليا) .. ملكها
بلا منازع .

انطلقت رصاصات (ديبلون) ورجاله في شراسة ، ودون
تمييز للهدف ، ولكنها استقرّت كلها في جسد (فتورا) البالغ
الضخامة ، الذي جحظت عيناه في رعب وألم وذُهل ، وهتف
بصوت مختنق :

— يا للشيطان !!

أما (أدهم) ، فقد انحنى يحتمي بجسد (فتورا) ، من
رصاصات رجاله السابقين ، ثم تعلّق به ، وقفز بقدميه ،
ليخترق زجاج النافذة ، ويركل ذلك المتسلّل الحلقى ركلة
كالقنبلة ، ألقته إلى الماء ، داخل حاجز الأسلاك المكهربة ،
ووسط أسماك القرش المفترسة ..

ولم يكد (أدهم) يبط على قدميه ، حتى دفع جثة
(فتورا) أمامه في قوة ، هاتفاً :

— فلنقاوموا تلك الدّابة البشرية إذن .

ارتطم جسد (فتورا) البدين بالرجال ، ودفعهم
(أدهم) أمامه ، حت حطّم بهم جدار المكتب الخشبي ،
وألقاهم فوق سلّيه في عنف ..

وصرخ (ديبلون) وهو يسقط :

— اقتلوه .. اقتلوه ..

ولكن (أدهم) قفز من مكانه ، وتعلّق بخنطاف هلب
الشحن الضخم ، ودفع جسده إلى مخزن الشحن ، حيث قفز
وسط تلال من الصناديق الضخمة ، ورصاصات الرجال تابعه
في غضب وثورة ..
وبركلة قويّة ، أسقط عشرات الصناديق فوق رؤوس

الرجال ، ثم قفز إلى ونش شحن صغير ، وانطلق به نحوهم ..
وراح الرجال يعدّون أمامه ، و (ديلون) يصرخ في غضب
شديد :

— تفرّقوا واقتلوه .. اقتلوه ..

انقسم الرجال إلى فريقين ، اندفع كل فريق منهم إلى
جانب ، ثم التفتوا إلى الونش ، وراحوا يحيطونه بالرصاصات ،
قبل أن يتوقّفوا في دهشة ، ويعدّ قواي الونش الخالي ، حتى هتف
(ديلون) في حدة ، وهو يشير إلى سفينة شحن قريبة :

— هاهو ذا هناك ..

التفتوا إلى حيث أشار ، وراوا (أدهم) يتسلّق سلسلة
ضخمة ، تتدلّى من السفينة ، في سرعة مذهشة ، وأسرعوا
يطلقون رصاصاتهم عليه ، ولكنه كان قد بلغ سطح السفينة ،
وصاح (ديلون) ، وهو يشدّ شعر رأسه في ثورة هائلة :

— مستحيل !! مستحيل !! إنه غير مسلّح .. مستحيل !!
وهناك ، على سطح السفينة ، أطلق (أدهم) ضحكة
ساحرة عالية ، ولوّح يده ، هاتفاً :

— إلى اللقاء أيّها الأوغاد .. حاولوا أن تتنازعوا ملعباً
صخياً ، يكفي لدفن جثة زعيمكم السابق ..

قال هذا ثم قفز من سطح السفينة ، متجاوزاً حاجز الأسلاك
المكهربة ، ومنطقة الأنماك المفترسة ، وغاص في الأعماق ..



ودفع جسده إلى مخزن الشحن ، حيث قفز وسط تلال من الصناديق
الضخمة ورصاصات الرجال تتابعه في غضب ولوعة ..

وصرخ (ديلون) في هياج :

— اقلوه .. اقلوه ..

انهالت الرصاصات على الماء ، ولكن شيئا لم يحدث ..

لقد اخطى (ادهم) ، وانتصر في تلك الجولة ..

انتصر بحق ..

اندفعت (سونيا) داخل حجرة (بلوميه) ، في ناديه الليلي

الشهير ، وهي تهف في لفظة :

— أصبح ما سمعت يا (بلوميه) ؟ أصبح أنك قد

قضيت على (ادهم صبرى) ؟

ابتسم في هدوء ، وناولها كأسا من (الكونياك) ، وهو

يقول :

— ليس بعد ..

انهارت لففتها كلها دفعة واحدة ، وهي تهف :

— ليس بعد ؟ .. لم أبلغني وجلك بذلك إذن ؟ لماذا

أرسلت في ظلي ؟

رفع الكأس إلى شفاه ، وهو يقول مبتسما :

— لأن الأمور كلها قد اختلفت تماما ..

سألته في خفق :

— كيف ؟ .. ما دمتم لم تقصوا عليه بعد ؟

جلس خلف مكتبه في هدوء ، وقال :

— كل الأمور قد اختلفت تماما .. فعندما بدأ ذلك الأمر ..

منذ ثمانية أيام ، كنت تتعاملين معي ، بصفتي واحدا من ثلاثة

رجال ، يحكمون (مارسييا) ، لئلا أنا فقد استمعت إليك ..

وأنا أرسم في عقلي لحظة أخرى ..

وأشار إليها ، مستطرذا في زفير :

— لحظة كنت أنت الطمطم فيها يا (سونيا) ..

عقدت حاجبيها في غضب ، وهي تقول في جدّة :

— أنا ؟

أطلق ضحكة ساخرة ، وقال :

— نعم يا (سونيا) .. أنت .. منذ البداية وأنا أسطلك

لتفذي لحظتي الخاصة ، فأنت أفتت (فتورا) و (موروا)

بالدخول في تلك المعركة ، وكنت أنا الصامت دؤما .. المنظر

أبدا ..

وبرقت عيناه في شدّة ، وهو يستطرد :

— ولقد ربحت في النهاية ..

سألته في جدّة :

— كيف ؟ ألم تقل أنك لم تهزم (ادهم) بعد ، و

قاطعتها في سخرية :

— ليس هذا هو الظفر في لعبتي .. الظفر الحقيقي هو أنني

قد صبرت الملك ..

غمغمت في خيرة :

— الملك ؟

هتف في رفق :

— نعم .. ملك (مارسيليا) .

وهب من خلف مكتبه ، وراح يلوح بذراعه ، مستطردا :

— بفضلك لقي (موروا) مصرعه ، وكذلك

(فتورا) .. وبفضلك أصبحت أنا أقوى رجل في

(مارسيليا) .

والفت إليا ، ولوح بسنانه في وجهها ، هاتفا :

— وأنا وحدي ، سأحصل على الملايين الخمسة الباقية .

كانت تتطلع إليه في ذهشة ، حتى بلغ هذا الحد ، ففقدت

حاجبها في صرامة ، وهي تقول :

— بعد القضاء على (أدهم صبرى) بالطبع .

ابتسم في سخرية ، وقال :

— إننى لم أقصد سوى ذلك .. سأقضى على (أدهم

صبرى) هذا بالطبع . مادام قد أتم أداء دوره .. سأقضى

عليه ، بسبب شهامته .

عقدت حاجبها ، وهي تسأله في اهتمام :

— كيف ؟

أجابها في استخفاف :

— إنه رجل شهيم .. بخاطر بحياته ونفسه ، في سبيل إنقاذ

من يحب ، وهذا يعنى أنه سيأتى إلى هنا ، إن أجلا أو عاجلا ،

وعندما يفعل ، سيكون قد وقع شهادة موته .

وصمت لحظة ، ثم أردف ، وهو يرفع الكأس إلى شفاهه :

— وسأجعل هذا كهديّة .

غمغمت في ذهشة :

— هدية ؟

تألقت عيناه ، وهي تتطلع إلى مقالتها ، مضغضا :

— نعم .. هدية زواج .

عقدت حاجبها ، وهي تتطلع إليه في إمعان ، قبل أن يفتّر

لغرها عن ابتسامة غدبة واقعة ، وهي تلتقط كأسها ، وترفعه

إلى شفاهها ، قائلة :

— اتفقا .

ومرّة أخرى ، انطلقت من أعماقها ضحكة شيطانية

ساخرة ..

ضحكة تحمل رنين القنوت ..

٨ — نادى القتلة ..

دقت الساعة ، تعلن منتصف الليل تمامًا ، عندما اجتمع
(بلوميه) في سخرية ، وهو يقول لـ (سونيا) ، التي بدت
شديدة العصبية :

— رُوَيْدَكَ يا عزيزتي (سونيا) .. الأمر لا يستدعي كل
هذا القلق .

غمضت في تؤثر :

— خطأ يا (بلوميه) .. لا تجعل هذا الهدوء الشديد
يخدعك .. إن (أدهم صبرى) يشبه إعصار (تورنادو)
الشهير ، كلما كان المناخ شديد الهدوء قبله ، كان هذا مؤشرًا
بشيء بدمار رهيب ، يخلقه بعده .

عقد حاجيه ، وهو يغمغم :

— يبدو أنك تخشين هذا الرجل تمامًا يا عزيزتي (سونيا) .

تنهدت في غسق ، وأرمأت برأسها ، معصمة :

— هذا صحيح .

سألت في دهشة :

— لماذا ؟ .. لماذا تخشينه إلى هذا الحد ؟

لوحث بكفها ، وهي تقول :

— لأنه شخص عجيب .. يستحيل أن تستجيب خطواته

التالية .. عندما تتصور أنه من المستحيل أن يأتي من الباب ، تجده

ينقض عليك من النافذة ، وعندما تتصور العكس ، يفعل هو

العكس أيضًا .

اجتمع ، وهو يقول في سخرية :

— أمر بسيط .. علينا أن نستجيب خطواته التالية ، ثم نفعل

عكسها .

اجتمعت في مرارة ، وهي تغمغم :

— أتجد الأمر بهذه البساطة ؟

هتف :

— إنه كذلك بالفعل .

التفتت إليه ، وهي تسأله :

— كيف تتصور أنه سيهاجمك إذن ؟

اجتمع في ثقة ، وتراجع في مقعده ، وهو يلوح بكفه ،

قائلًا :

— إنني أفكر بطريقة مختلفة يا عزيزتي (سونيا) .. إنني

أولم أر على نفسي مشقة الاستعاج .. لقد قمت بتحسين كل
مداخل النادي .

عممت في سُخْرية :

— أتقصد مثلما فعل (فتورا) ؟

عقد حاجيه ، هاتفاً :

— كلاً .. ليس مثله .

ثم استورد ، بعد وهلة من الصمت :

— النادي لا يحوى سوى ثلاثة مداخل ، يمكن التسلُّل
غيرها .. القبو ، والباب الخلفى ، والسطح .. ولقد وضعت
عند كل منها لفرقة مسلحة كاملة ، وأمرتها بإطلاق النار على أى
مخلوق يحاول التسلُّل . حتى ولو كان واحداً منهم ، كما أمرتهم
بالأبى فإذ أحدهم مكانه قطعاً ، مهما كانت الأسباب ، ولقد
أضفت إلى ذلك كلمة سرَّ خاصة ، وخاتماً يوضع على كتف
كل من رجالى .

اجسم في ثقة ورفو ، وهو يردف :

— أرايت أنه من المستحيل أن يتسلَّل شيطانك إلى هنا ؟

ولم يكذبهم عبارته ، حتى اندفع (بير) إلى مكتبه ، وبدا
شديد الشُّحوب ، وهو يهتف في انفعال :

— مسيو (بلوميه) .. لقد وصل (أدوم صبرى) .. إنه
الآن داخل النادي .

حدَّق (بلوميه) في وجهه بدهشة ، وتألَّقت عيناه (سونيا)
في انفعال ، قبل أن يَهْبُ (بلوميه) من مقعده ، ويهتف في
ذُفُول :

— كيف ؟ .. كيف نجح في التسلُّل إلى هنا ؟

هتف (بير) في ذُغَر :

— إنه لم يفعل يامسيدي .. لم يتسلَّل .. لقد دخل إلى النادي
من مدخله الرئيسى ، مثلما يفعل كل الزَّوَاد ، ولقد منح حارس
البوابة بقبشيشاً أيضاً .

سقط (بلوميه) فوق مقعده ، وهو يهتف في ذُفُول :

— بقبشيشاً ؟

وهتف (سونيا) :

— ألم أقل لك ؟ .. إن (أدوم) لا يفعل أبداً ما تتوقعه ..

أبداً .

عقد حاجيه في غضب ، وعاد يَهْبُ من خلف مكتبه :

هاتفاً في مزيج من الثورة والصراخ :

— فليكن .. الدخول إلى الجمع ليس مشكلة .. المشكلة

هى الخروج منها على قيد الحياة .

— لماذا جاء على هذا النحو السافر ؟ .. ما الذى يسعى إليه
بالضبط ؟

غمضت (سونيا) فى عصبية :

— هكذا (أدهم صبرى) دوماً .. من المستحيل استنتاج
خطوته التالية .

ثم ألقت سيجارتها أرضاً ، وانجذبت نحو (أدهم) ، فجالتها
(بلوميه) من كنفها ، هائفاً فى توتر :

— إلى أين ؟

أزاحت يده عن كنفها فى حدة ، وقالت فى صرامة :
— دع عنك هذا الأمر يا (بلوميه) .. إني أفهم (أدهم
صبرى) ، وأعلم كيف أتعامل معه جيداً .

لم يحاول منعها ، وتركها تتجه إلى (أدهم) ، الذى انضمت
إليها فى هدوء ، واتسم وهو يحف فى مرج :

— عزيزى (سونيا) ؟ يا لها من مصادفة جيدة ! .. إنه
لن الخليل أن يلتقى المرء بفاتنة مثلك ، فى ليلة دافئة كهذه .
عقدت حاجبها ، وهى تقول فى توتر :

— لا ادعى لذلك الأسلوب السخيف يا (أدهم) .. إني
أعلم لماذا أنت هنا .

ثم التفت إلى (سونيا) ، مستطرذاً فى خنق :
— وأنا أعذك يا (سونيا) .. أعذك أنه لن يخرج من هنا
حيّاً .. هو أو شقيقه .. لن يغادروا النادى على قيد الحياة .
والقى كأسه فى ركن المكتب ، فتهشم فى ذوى عتف ،
٩٠ جف :
— أبداً ..

كان (أدهم) يبدو شديد التألق ، فى حُلته السوداء ،
ورباط عنقه الأسود الصغير ، وقميصه الناصع البياض ،
وشعره المصطف فى عناية بالغة ..

ولقد بدا مظهره ، وهو يجول بين مرائد القمار فى هدوء ،
وأسامة هادئة غلماً وجهه ، كشاب من الأثرياء العابثين ، جاء
يقضى ليلة لاهية فى لعب وعيث ..

وكانت عيون رجال (بلوميه) تتابعه فى تحفز وتوتر ،
وأيديهم تستند إلى مقابض تلك المسدسات ، احتفاه أسفل
سراويلهم ..

ومن بعيد ، ضاقت خدقا (بلوميه) ، وهو يتطلع إلى
(أدهم) ، مغمضاً فى توتر بالغ :



لم يحاول منها ، وتركها تنجح إلى (أعظم) ، الذي التفت إليها في هدوء ،
واسم وهو يبت في مزح : — عزيزي (سونيا) ؟

اسم ، قائلا في برود :

— رائع .. أنا أيضا أعلم لماذا أنت هنا .. ما رأيك لو أننا
قد تصافينا ، وحصل كل منا على ما يريد ؟
هتفت في عصبية :

— لست أعتك تفيل ذلك ، فما أريده هو حياتك .

أطلق ضحكة ساحرة . وقال :

— ليس هذا هو المقابل الذي أعنيه يا (سونيا) .

ثم مال نحوها ، مستطردا :

— إنني أريد أخي ، سليشا معالي ، ومقابل ذلك سأترك
للكل الوغد (بلوميه) نادية سليشا ، وسأفاضي عن الانتقام
لزميل (سمير) .. ما رأيك ؟

هتفت في خفق :

— إنني أرفض ..

جاء قولها مرتفعا ، حتى أن كل من حولها قد التفتوا إليها ،
فخفت صوتها ، وغمضت في جفدة :

— أتعلم أن كل رجال (بلوميه) حولك ، ينتظرون
إشارتي ، ليطلقوا عليك النار من كل صوب ؟
هز كتفيه في استهزاء ، وهو يقول :

— أعلم ذلك .

ثم مال نحوها ، مستطرذا في سُخْرية :

— وأعلم أيضًا أن (بلوميه) لن يحاطر بتعظيم سمعة ناديه ،

وأنه سيلجأ إلى التفاوض حتى آخر رمق ، مادمت داخل
النادى ، وبين رؤاده .

عقدت حاجبها في شدة . وهي تقول في سُخْط :

— هذا ما تظن .

ثم استدارت في حدة ، والجهت نحو (بلوميه) ، وأشعلت

سيجارها في عصبية ، وهي تنفض غضبًا - و (بلوميه) يسألها
في غفلة وتوَلَّى :

— ماذا قال ؟

أجابته في حدة :

— لقد قدم لي عرضًا سخيفًا .

سألها في حدة :

— أى عرض هذا ؟

شفت ساخطة :

— قال إنه يريد أخاه ، وإلا حطَّم النادى على رؤوس

الجميع .

صاح في غضب :

— ماذا ؟ .. ياله من مغرور !

ثم أشار إلى (بير) ، واستطرد في حدة :

— اسمعنى جيدًا .. اذهب إلى ذلك المغرور ، واغرس

مسدسك في ظهره ، وأجره على أن يعضى معك إلى حجرة
مكئى ، وهناك ستخلص منه دون ضجيج .

عقدت (سونيا) حاجبها ، ونفث دُخان سيجارها في

قوة ، وهي تلمغم :

— هكذا !

راقت (بير) ، وهو يتجه نحو (أدهم) ، واستطردت

في عصبية :

— يبدو أن هذا هو آخر أيام ناديك يا (بلوميه) .

ثم انسحبت في هدوء ، وأشارت إلى (شارل) أن يتبعها ،

واتجه الاثنان في خطوات سريعة إلى قبر الحُمور ، على حين بلغ

(بير) موضع (أدهم) ، وأخرج مسدسه من جيبه ، وألصق

فُوهته بظهر (أدهم) ، وهو يقول في شراسة :

— لا تقاوم ، واتجه أمامى إلى مكتب الزعيم .

تألفت غينا (أدهم) ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة

واسعة ، وهو يقول :

— رائع .. كنت أنتظر هذه المبادرة بالذات .

وفى حركة بالغة السرعة ، وبمرونة ووشاقة لا مثيل لها ،
دار (أدهم) على عقيقته ، وطوّح بمسدس (بيير) بضربة
مُحكّمة ، ثم هوى على فلك هذا الأخير بلكمة كالقنبلة ..
وبدأ الصّراع الرّهيب .. فى نادى القتل ..



٩ — الدّماء ..

تطلّع الدكتور (أحمد) فى دهشة ، إلى ذلك الزائر
العجيب ، الذى صحب (سونيا) هذه المرّة ، واتسم فى
إرهاق ، وهو يغتم فى نهالك :

— أنغشّين زيارتى وخذلك يا (سونيا) ؟

اتسم (شارل) فى هدوء ، والتحنّى أمامه على نحو
استعراضى ، قائلاً :

— أقدم لك نفسى .. (شارل رونيه) ، مدوب منظمة

(سكوريون) فى (فرنسا) .

خمغم (أحمد) :

— (سكوريون) ؟ .. أتقصد تلك المنظمة الإجرامية ؟

اتسم (شارل) فى سُخرية ، وكأنما اعتاد ذلك
الأسلوب ، واتجه إلى حيث اصطفت زجاجات النبيذ ، فالتقط
منها زجاجة ، وقرأ التاريخ المدوّن عليها ، وهو يقول فى هدوء :

— كلاً .. إننى أقصد منظمة الجاسوسية العالمية الخاصة ،
التي تتعامل مع مخبرات تسع دول على الأقل .

غمغم (أحمد) في هدوء :

— ليس من بيتا (مصر) بالتأكيد .

انزع (شارل) سداة رجاجة الشمبانيا ، وهو يقول :

— بالطبع .

وراح يراقب فوران النبيذ ، ولفقاغات السائل الذهبى ،

على حين قال (أحمد) في اهتمام :

— هل لي أن أفهم سر هذه الزيارة ؟

ارتشف (شارل) رشفة من النبيذ ، وهو يقول :

— رابع هو سيد (بوربون) هذا ، وخاصة ذلك الذى

يعود إلى عام ألف وتسعمائة وثلاثة ، و

قاطعه (أحمد) :

— أتحاول التهرب من سؤالى ؟

أجابته (سونيا) في حدة .

— كلا يادكتور (أحمد) . سأخبرك أنا لماذا . إنك

ورقتنا الأخيرة . آخر درع يضمن لنا التفوق ، في صراعنا مع

شقيقك بعد أن يحطم (بلوميه) ورجاله .

اعتدل (أحمد) ، وتجاهل ساقه المشطمة ، وهو يتف :

— هل وصل إلى هنا ؟

أشارت (سونيا) إلى أعلى ، وهي تقول :

— نعم . إنه هناك .

ثم نفتت دخان سيجارهما في عصبية ، مستطردة :

— ولقد أحال النادى إلى جميع . . .

هوت لكمة (أدهم) على فلك (بير) كالقنبلة ، وألفته

إلى الوراء ، قرابة الأمطار الثلاثة ، حيث سقط فوق مائدة

(الرولى) ، وأطار فيشائها في غنف . . .

وهنا انزع كل رجال (بلوميه) ملابسهم ، وانطلقت

صرخات كل رؤاد النادى في رغب وفزع . .

وقف (أدهم) إلى الأمام ، ودفع مائدة (رولى) أخرى

بقدميه ، في وجوه عدد من رجال (بلوميه) ، ثم دار على

عقبه ، وحطم فلك رجل ، وهشم أنف ثان ، وكسر أسنان

ثالث . .

وساد المرح والمرج ، وراح الجميع يتدافعون في كل

ضوب ، على حين بقي (أدهم) هادئا ، وأخرج من جيبه

منظارا داكنا ، أخفى به عينيه ، ثم انزع سترته ، قائلا في

سخرية :

— والآن ، فليبدأ حبل (أدهم صبرى) الخاص .
وبأقصى قوة ، ألقي الأزرار أرضاً ، فانفجرت بدوى
شديد ، وانجذبت منها أضواء قوية ، أعشت بصر الجميع .
كانت قبائل فرسغورية .
وكانت أول مرة تقريباً ، يلجأ فيها (أدهم) إلى مبتكرات
الإدارة .
وأصيب رجال (بلوميه) بالفرح ، عندما فقدوا
أبصارهم ، وراحوا يطلقون النار عشوائياً في زُعب ، على حين
أخرج (أدهم) مسدسه في هدوء ، وراح يطلق نيرانه عليهم ،
وهو يتجه نحو مكعب (بلوميه) ، في خطوات شديدة
الهدوء .
وكانت رصاصاته تصيب هدفها في دقة بالغة ، على الرغم
من الساطعة الشديدة ، التي يُطلقها بها .
كل رصاصة أصابت هدفها بمنتهى الدقة .
كل رصاصة هتمت كصف واحد من رجال (بلوميه) .
كل رصاصة أزاحت شيطاناً من عالم الجريمة .
وعندما توقف (أدهم) عن إطلاق النار ، كان قد حطّم
أكف كل رجل من رجال (بلوميه) ، الذين راحوا يتأوهون ،

ويغنون كالكلاب الجريحة ، على حين اتجه هو نحو مكعب
(بلوميه) ، وحطّم رفاهه برصاصة واحدة ، ثم قفز جانباً ،
متفادياً رصاصات (بلوميه) و (ميشيل) ، وأطلق من
مسدسه رصاصتين ، أطاحت بمسدسهما ، ثم وقف أمام الرجلين
في هدوء ، ونزع خزانة مسدسه الفارغة ، وألقاها جانباً ، ثم
وضع مكانها خزانة أخرى ممتلئة ، على حين تراجع (ميشيل)
في زُعب ، وراح (بلوميه) يرتجف كقط فئيل ، في ليلة فارصة
البرودة ، وهو يبتف في أنهار .
— الرحلة بامسيو (أدهم) !! الرحلة !! لا تقطنى .
أرجوك
قال (أدهم) في برود :
— أية رحلة تطالب بها يا (بلوميه) ؟ . أأنت أنت الذى
أمر باخطاف شقيقى ؟ . أأنت المسئول عن مصرع زميلى ؟
أنهار (بلوميه) جانباً على ركبتيه ، وراح يبكي في حوارة ،
ويبف .
— سأصلح كل ذلك . سأدفع ثمن كل ما حدثت بامسيو
(أدهم)
قال (أدهم) في صرامة :

— هناك أشياء لا تثنى لها أيها الرغد .

هتف (بلوميه) باكيا :

— سأدفع مليونًا يا ميسو (أدهم) .. بل مليونين ..

استقبلته نظرات (أدهم) الباردة الصارمة ، واستقبله

صوته الخفيف ، فهتف :

— ثلاثة ملايين .. أربعة ..

ولما لم يجد جوابًا ، انهار هاتفا :

— لخذ ثروتي كلها .. لخذها وارحني ..

ومرّة أخرى لم ينطق (أدهم) بشيء ، بل ظلّ صامتا ،

بارداً ، صارما ..

وفجأة ، هتف (ميشيل) ، وقد فقد السيطرة على

أعضائه :

— اللعنة !!

ثم انتزع مسدسه من جيب سترته ، وأطلق النار على

(أدهم) ..

ونفادى (أدهم) الرصاصة بانحناءة رفيقة ، ثم أطلق

رصاصة على كفّ (ميشيل) ، فحطمتها تماما ، وراح هذا

الأخير يصرخ :

— اللعنة !! اللعنة !! لقد تحطّمت يدي .

أما (بلوميه) ، فقد وجد المسدس أمامه ، عندما سقط من

يد (ميشيل) ، فقفر يلتقطه ، وهو يصرخ :

— مُثّ أيها الشيطان المصري .. مُثّ .. مُثّ .. مُثّ ..

وطاشت كل رصاصاته بسبب فزعه ، وبفصل قفزة

(أدهم) المذهلة ..

ثم انطلقت رصاصة من مسدس (أدهم) ..

انطلقت لتستقر في كتف (بلوميه) ، وتلقيه إلى الخلف ،

و (أدهم) يقول في غضب :

— هذه من أجل احتضاف (أحمد) ..

ثم أطلق رصاصة ثانية ، حطّمت كفّ (بلوميه) اليسرى ،

وثالثة حطّمت كفّه اليمنى ، وهو يستطرد :

— وهذه من أجل (سمير) ..

صرخ (بلوميه) ألما ، وراح يؤلّول كالنادبات ، وهو

يهتف :

— أيها الشيطان !! أيها القاتل !!

انتزع (ميشيل) من جيبه فجأة قبلة يدويّة ، وهو يهتف :

— سأقتلك أيها الشيطان ، سأقتلك ولو كان هذا آخر

ما أفعله في حياتي ..

رفع القبلة بيده اليسرى إلى لحيه ، حيث انتزع صمام
أمانها . وهو يستطرد :

— اذهب إلى الجحيم .

ولكن رصاصة (أدهم) حطمت كفه اليسرى ، فسقطت
القبلة عند قدميه ، وصرخ (بلوميه) في رُعب :

— القبلة .. إنها مستفجرة ..

قفز (أدهم) خارج الحجرة ، وابتعد في سرعة ، عل حين
ذوى الانفجار من خلفه قوياً ..

لقد انتهى آخر عمالقة (مارسيليا) ..

انتهى إلى الأبد ..



١٠ — الخطوة الأخيرة ..

ارتجف جسد (سونيا) في قوة ، عندما تناهى إلى مسامعها
دوى الانفجار ، وهفت في صوت مرتجف :

— لقد تخلص (أدهم) من (بلوميه) .

سألها (شارل) في توثر :

— كيف عرفت ؟

أجابته ، وهي تشير إلى أعلى :

— لقد كان الانفجار فوقنا تماماً ، في مكتب (بلوميه) .

هتف (شارل) :

— هذا عظيم :

الظمت إليه في حدة ، وهي تقول :

— ماذا تعني ؟

أطلق ضحكة عسيفة ، وهو يقول :

— أعني أن نستحق وحدنا الملايين الخمسة الأخرى .

حدقت في وجهه في استكار ، وهي تهتف :

— أهذا هو كل ما تفكر فيه ؟

صاح في مزج عصي :

— بالطبع .. إنها ليست مليوناً .. إنها خمسة ملايين ..

سيصير بوسعنا أن نعتزل ، ونحيا حياة أصحاب الملايين .

صرخت في ثورة :

— أيها الغني .. لقد كان هذا بوسعى مند عامين ، ولكنني

أسعى خلف هدف آخر .. خلف قتل ذلك الشيطان .

هز كفيه ، قائلاً :

— وما الذي يمنع من مزج المهدفين معاً ؟ .. منقفل (أدهم)

هذا ، وتحصل على المال .

اجسم (أحمد) في منخريه ، وهو يقول :

— عجباً ! .. ! إنك تجعل الأمر يبدو بالغ البساطة .

أجابته في تحد :

— إنه كذلك بالفعل ، مادامنا نحفظ بك .

اتفقد حاجيا الدكتور (أحمد) في صرامة ، وهو يقول :

— لن أكون أبداً عقة في سبيل أخى .

جذبه (شارل) من رأسه في عنف ، وهو يقول في ضراصة :

— ولست تقلك أن تقوم بالعكس .

تخلّى عن رأسه في حركة حاذة ، حينها دوى صوت

رصاصه ، أصابت رتاج باب القبو ، وغمغمت (سونيا) في
توكل بالبع .

— لا داعي للحديث عن النظريات .. لقد حان وقت

الاحبار العمل .

وارتحف صوتها ، وهي تستطرد :

— لقد وصل (أدهم صبرى) .

انفض جسده في قوة ، وراح يحدق في رُعب ، في

(أدهم) ، الذي راح يتقدم نحوهم في هدوء ، وذراعه

المسكة بالسدس مترامية إلى جواره ، فأشارت (سونيا) إلى

(شارل) ، الذي قفز يحيط عنق الدكتور (أحمد) بذراعه ،

وألصق فؤوه مسدده بجبينه ، على حين هتفت (سونيا) في

توكل :

— قف يا (أدهم صبرى) .. قف ، وإلا دفع شقيقك

الثمن .

توقف (أدهم) في هدوء ، ونقل بصره ما بين (شارل) ،

الذي راح يرتجف على نحو ملحوظ ، على الرغم من أنه —

نظرياً — في المركز الأقوى ، و (سونيا) ، التي تنفت ذُخان

سيجارها في عصية بالغة ، وشقيقه ، الذي بدا رث الهينة ،

شديد الإعياء ، ثم قال في برود :

— نحن ماذا يا (سونيا) ؟

هتفت في حدة :

— نحن .. نحن

ترددت لحظة ، وكأنما تبحث عن مبرر ، قبل أن تهتف :

— نحن إقدامك على مهاجمتنا .

انسم في سخرية ، وهو يقول :

— مهاجمتكم .. لماذا تستخدمين صيغة الجمع ؟ .. أنتحيرين

أنت وأولئك العمالقة الثلاثة فريقًا واحدًا ؟ أم أنك تحاولين

تفخيم نفسك ، أنت وذلك الحقير هناك ؟

هتف (شارل) في حدة :

— حذار أن تطوئه بكلمة خاطئة ، وإلا قتلت شقيقك

برصاصة واحدة ..

انسم (أدهم) في سخرية ، وهو يلطمت إليه ، قائلاً :

— هكذا .. يا لك من صنيديد !! إنك تستحق حقًا أن

تلقى مصرعك في هذا القبور الحقير .

صاح (أحمد) في صرامة :

— لا تجعل مني نقطة ضعف لك يا (أدهم) ، وإلا قلن

أنا نحن نفسى أبدًا ..

انسم (أدهم) في هدوء ، وهو يقول :

— اطمئن يا أخى العزيز .. لن أفعل ..

شحب وجه (شارل) في شدة ، على حين هتفت (سونيا)

في عصبية :

— ما قولك ؟

أجابها في هدوء :

— قولى !

ثم رفع منده ، يصوبه إلى رأس (شارل) ، قائلاً في

صرامة :

— أريد أخى ..

امتقع وجه (سونيا) في خوف ..

لم تدرك لماذا كانت تشعر برهبة شديدة من (أدهم) هذه

المرّة ؟ ..

لماذا تخاف صوته وكلماته ؟ ..

أصبحت أضعف من أن تواجهه ؟ ..

هل اعتادت العيش الرغد ، حتى أنها لم تعد تلك المقاتلة

الشرس ، التى كانت من قبل ؟ ..

أم أنها حقًا تحبه ؟ ..

أزعجها ذلك الحاطر ، الذى طالما راودها فى خلواتها ،
فأسرعت لتفطنه بعيداً ، وهى تقول فى جدّة :

— مستحيل !

أجابها (أدهم) فى سخرية :

— ما هو المستحيل يا (سونيا) ؟

هتفت فى عناد :

— أن تسعيد شقيقك .

أما (شارل) ، فقد هتف فى عصبية :

— لن أقبل أية مساومات .. إما حياتك أو حياة شقيقك ..

ماذا تختار ؟

أطل غضب صارم من عيني (أدهم) ، وهو يقول :

— إنك لم تترك لى الخيار .

وفى هدوء شديد ، انحصر (أدهم) زناد مسدسه ..

والطلقت رصاصة ..

وارتطم دفق من الدم بوجه الدكتور (أحمد) ..

وتراجعت (سونيا) فى رغب ، وقد انهار كل عنادها ..

وحفظت عينا (شارل) ، وسقط مسدسه ، وتلوث

وجهه كله ببقعة دم كبيرة ..

وسقط جثة هامدة ..

الجد (أدهم) فى هدوء إلى شقيقه ، وأزاح جثة (شارل)
بعيداً ، ثم سأل شقيقه ، الذى يمسح الدم عن وجهه فى توكر :

— أنت بخير ؟

غمغم (أحمد) :

— جيداً نعم .. أما نفسي ومعنوي ، فليست أدري .

رثت (أدهم) على كفه ، مغمغماً :

— إنها ضريبة كونك شقيقى .

سأله لى دهشة :

— ولكن سافك .. كيف عادت لى طبيعتها ؟

احسم ، وهو يقول :

— إنها قصة طويلة ، سأقصها عليك لى (القاهرة) ..

هتف لى لفة :

— (القاهرة) !؟

أوماً (أدهم) برأسه إيجاباً فى هدوء ، وقال :

— نعم .. (القاهرة) .. هناك طائرة خاصة ، تنتظرنا

خارج المدينة ، وستطلع بنا على القور إلى (القاهرة)

التقت (أحمد) إلى (سوليا) ، التي بدت منبارة تمامًا ،
ومضاه بصدمة نفسية ، وعلمهم :

— وماذا عن هذه ؟

أجابته (أدهم) ، وهو يترُ كشيء في هدوء :

— دعك منها .

ثم حمله ، وهو يستطرد :

— إنها لم تعد تلك الأفعى ، التي عرفتها سابقًا .

أدارت (سوليا) عينها إليه في الهيار ، ثم انخرطت في بكاء

حار ، وهي تغمغم في مرارة :

— نعم .. إنني لم أعُد كذلك .

تجاهلها (أدهم) تمامًا ، وحمل شقيقه إلى الخارج ، وتطلع
(أحمد) إلى الحراب الشديد ، الذي ساد المكان ، وهتف في
دهشة :

— كيف لم يصل شرطى واحد إلى هنا ، على الرغم من كل

هذا ؟

أجابته (أدهم) ، وهو يتجاوز منه باب النادى ، ويضعه
داخل سيارة خاصة :

— لقد كافح هؤلاء الأوغاد طويلاً ، ليجعلوا هذه المدينة
بلا قانون .. وها هم أولاء يدفعون فمن ذلك الآن .

ثم احتل مقعد القيادة ، وانطلق بالسيارة ، متسماً ، قائلاً :
— فلنلق كل ذلك خلف ظهورنا يا أخى العزيز .. المهم أننا
قد التقينا مرة أخرى ، وسنعود معاً إلى حيث الأمن والأمان ..
واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

— إلى (مصر) ..



تأوهت (منى) لى ألم ، ثم هفت لى إعياء :
 - كفى يا (جوزى) .. كفى .. لم أعُد أحصل ..
 اتسمت المعجوز الفرنسية لى حنان ، وغمغمت :
 - فليكن يا ببنى .. سكتلى بهذا القدر اليوم ..
 زئت (أدهم) على كفف المعجوز ، وقال مستمًا :
 - مادمت ترين ذلك يا (جوزى) ، فأنت على حق ..
 ضحكت (منى) ، وهى تقول :
 - ولكن أسلوب علاجتك مرهق للغاية يا (جوزى) ..
 اتسمت المعجوز ، وهى تقول :
 - ولكنه فعّال ..
 ضحك (أدهم) ، قائلاً :
 - من هذه الناحية ، أنت على حق تمامًا ..
 ثم أشار إلى (منى) ، التى تقف مستدة إلى عكازين
 حشيتين ، وقال :
 - إنها لم تكن تفعل ، منذ أسبوع واحد ..

هفت المعجوز فى حرارة :

- إنها ستشفى تمامًا ، بعد شهر على الأكثر ..
 غمغم الدكتور (أحمد) ، وهو يفرد أمامه ساقه
 المكسورة :
 - إنها معجزة بحق .. إنك تحطمين كل القواعد الطبية ،
 التى يدرسونها فى كليات الطب ..
 اتسمت ، قائلة لى حماس :
 - إنه الطب الطبيعى .. إنه أعظم مائة مرة من تلك
 الكيماويات ، التى أفستت أجسادكم ، فى نصف القرن
 الأخير ..
 هفت (أحمد) ضاحكًا :
 - صدقت ..
 ثم سأها لى اهتمام :
 - أخبرنى .. اسمك الحقيقى هو (جوزى) ؟
 ضحكت قائلة :
 - إنه يبدو اسمًا شائنًا ، يتعارض مع مظهرى .. أليس
 كذلك ؟
 غمغم لى حجل :

— لم أقصد ذلك .

ضحكت وهي تقول في مزح :

— ولكنه حقيقي .

شاركها الجميع ضحكها ، قبل أن تتوقف بفتة ، وتقول في

هدوء :

— ولكنني كنت يومًا شاة جميلة ، وحيداك كان الاسم

يبدو لافتًا .

بدا من الواضح أنها تسترجع ذكرى حزينة ، وهي

تستطرد :

— اسمي الحقيقي هو (جوزفين) ، مثل اسم أرملة

(نابوليون بوناپرت) .. ولقد كان زوجي أيضًا يُدعى

(نابوليون) .

توقفت دمة حزينة في عينيها ، وهي تردف :

— كنت زوجين محبين .. يذوب كل مثالي حب الآخر ، لولا

أن ..

أخذعتها تلك الدمة ، والمحدرت على وجنتها ، وهي تتابع :

— لولا أنه كان جريئًا ، يأتي إلا أن يقاتل في سبيل الحق

والعدل .

مسحت دمعها ، واعتذلت في اعتداد ، ثم واصلت :

— كان ذلك في الثلاثينات ، أيام عصابات (مارسيليا)

القديمة .. لقد تصدّى لهم ، مثلما فعلت أنت اليوم ، ولكن

مصيره كان يختلف عن مصيرك ، فقد .. فقد قبلوه .

غمغم (أدهم) في أسف :

— يا للمسكين !!

هتفت في حماس :

— بل قل يا للبطل !! لقد كان صاحب الصوت الوحيد ،

الذي ارتفع بالحق ، في وقت ساد فيه الظلم .. الصوت الوحيد

العادل ، طوال نصف قرن .. نعم .. لقد جاء الاحتلال

النازي ، وبعده عصابات (مارسيليا) الجديدة .. ولم تشهد

(مارسيليا) عهدًا حرًا حقيقيًا .

وانحدرت من عينيها دمة أخرى ، وهي تتطلع إلى

(أدهم) في امتنان ، مستطردة :

— سوى في عهدك أنت أيها البطل .

غمغم (أدهم) :

— المهم أن هذا قد أسعدك يا (جوزي) .

ضحكت في مزح ، وهي تمسح دمعها ، وترتبت على كفاف

(منى) ، هاتقة :

— عيا أيتها الشابة ، تعاوى معى ؛ ليم شفاؤك سريعاً ، فلقد
اشتقت إلى العودة إلى منزلى ، فى (مارسيليا) .

هفت (أدهم) :

— لماذا يا (جورى) ؟ .. أنشعرين أننا نقصر فى ضيافتك
هنا ؟

هفت فى حماس :

— على العكس .. إنكم بالغو الكرم هنا فى (مصر) .

لم أطلت من عينيها نظرة عاطفية ، وهى تستطرد :

— ولكننى أشتاق لقضاء مابقى من عمرى فى (مارسيليا)

الحرّة ، التى عشت أخلم بها نصف قرن .. (مارسيليا) التى

تحرّرت أخيراً من عمالقة الإجرام .. (مارسيليا) دون

عمالقة .. دون (عمالقة مارسيليا) ..

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩



د. نيل فاروق

رجل

المتحيز

بليلة

روايات

يوليانية

للتباب

زائفة

بالأحداث

المنيرة

عمالقة مارسلينا

• هل يعود (أدهم) إلى (مارسلينا) ،

بعد اختطاف أخيه ، ومقتل زميله ؟

• كيف يقاتل رجل عاجز عصابات

(مارسلينا) كلها وحده ؟

• ترى لمن يكون النصر ؟.. لـ (أدهم

صبري) ، أم لـ (عمالقة مارسلينا) ؟

• اقرأ التفاصيل المثيرة : ترى كيف يعمل

(رجل المتحيز) ..



الثمن في مصر

وما يعادله بالدولار

الأمريكي في سائر

الدول العربية

والعالم

العدد القادم : صحراء الدم